2020
4.1.2020

ليمان فرانك بام

ساحر أوز العجيب

ترجمة: بثينة الإبراهيم



مرايا | منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



ليمان فرانك بام

ساحر أوز العجيب

رواية

ترجمة

بثينة الإبراهيم




ساحر أوز العجيب

الكاتب: ليمان فرانك بام

عنوان الكتاب: ساحر أوز العجيب

ترجمة: بثينة الإبراهيم

تصميم الغلاف: الشاعر محمد النبهان

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-99966-989-9-6

الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2018

2000 نسخة

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

publishing@takweenkw.com | takweenkw

www.takweenkw.com | @takweenKw

لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+

بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com | Dar alrafidain

info@daralrafidain.com | Dar.alrafidain

www.daralrafidain.com | @Dar alrafidain

أهدي هذا الكتاب

لزوجتي

صديقتي ورفيقتي الرائعة

ل. ف. ب

الفهرس

مقدمة

لقد اهتم الموروث الشعبي والأساطير والخرافات والحكايات الخرافية بالطفولة على مر العصور، لأن كل طفل معافىً يتمتع بحب طبيعي وغريزي للقصص الخيالية والمدهشة والمختلقة. وقد أدخلت قصص الأخوين غريم وأندرسن الذائعة الصيت السعادة إلى قلوب الصغار أكثر من أي ابتكار بشري آخر.

ومع ذلك، قد تصنف القصة الخرافية القديمة الطراز اليوم، بعد أن أدت الغرض أجيالًا، بوصفها «تاريخية» في مكتبة الأطفال، لأن الوقت قد حان لسلسلة أحدث من «الحكايا العجيبة»، تستبعد منها الشخصيات النمطية للجني والقزم والجنية، إلى جانب كل الحوادث المخيفة والمروّعة التي اختلقها مؤلفوها للخروج بموعظة مخيفة بعد كل حكاية. إن أساليب التربية الحديثة تعلّم الأخلاق، ولذا فإن الطفل يبحث عن التسلية في الحكايات العجيبة، ويستغني بكل سرور عن الحوادث الكريهة.

ولأني فكرت بهذا، فإن قصة «ساحر أوز العجيب» كتبت

لإمتاع الصغار اليوم فحسب. وهي تسعى أن تكون حكاية خرافية محدّثة، أبقيت فيها على الدهشة والمرح، واستبعدت منها الآلام والكوابيس.

ل. فرانك بام
شيكاغو، أبريل ١٩٠٠

الفصل الأول

الإعصار[1]

عاشت دوروثي وسط سهوب كَنساس الواسعة، مع الخال هنري الذي كان مزارعًا، وزوجته الخالة إم. كان بيتهما صغيرًا لأن الخشب المطلوب لبنائه ينبغي حمله في عربة لأميال عدة. وكان له أربعة جدران وأرضية وسقف، ما يعني أنه مؤلف من غرفة واحدة، وهذه الغرفة تضم موقدًا صدئًا، وخزانة للصحون وطاولة وثلاثة كراسي أو أربعة، وأسرّة. كان للخال هنري والخالة إم سرير واحد كبير في زاوية، ولدوروثي سرير صغير في زاوية أخرى. ولم يكن للبيت عليّة بتاتًا ولا قبو، باستثناء حفرة صغيرة حفرت في الأرض تدعى قبو الإعصار، تختبئ فيه العائلة إن هبت إحدى الزوابع القوية الشديدة بما يكفي لتحطيم أي بناء في دربها. ويمكن

---

(١) أرسل رئيس مكتب الأرصاد الجوية في الولايات المتحدة الأستاذ وِلس ل. مور رسالة إلى الناشر بعد صدور ساحر أوز العجيب قال فيها إنه كان يجدر بالكاتب أن يستخدم كلمة tornado أي زوبعة، بدلًا من استخدامه للفظة إعصار cyclone. «لا لوم على الكاتب لهذا الخطأ، لأن العوام يصرون على الخلط بين المصطلحين كثيرًا حتى إنني أخشى أن يضطر العلماء إلى تغيير مصطلحاتهم. لو أن كتابكم الصغير هذا استخدم المصطلح الصائب لكان ذا عون كبير للعلم عوضًا عن تخليد خطأ مؤسف».

الوصول إليه ببويب يتوسط الأرضية، ينزل منه سلم إلى الأسفل، إلى الحفرة الصغيرة المظلمة.

حين وقفت دورورثي أمام الباب ونقّلت ناظريها في الأرجاء، لم تر إلا السهوب الرمادية الواسعة في كل جانب. ولم يتخلل بيت ولا شجرة الامتداد الواسع للريف المنبسط، الذي بلغ حد السماء في كل الجهات. وقد أحرقت الشمس الأرض المحروثة في كتلة رمادية، تتخللها شقوق صغيرة. حتى العشب لم يكن أخضر، لأن الشمس أحرقت قمم الأوراق المستدقة الطويلة حتى صار لها اللون الرمادي نفسه الذي يرى في كل مكان. طلي البيت مرة، لكن الشمس سفعت الطلاء وغسلته الأمطار، وبات البيت كئيبًا رماديًا مثل كل شيء آخر.

حين جاءت الخالة إم لتعيش هناك، كانت زوجة شابة جميلة، لكن الشمس والرياح غيرتها أيضًا. فقد سلبت البريق من عينيها وخلفتهما رماديتين باردتين، كما سرقت الحمرة من وجنتيها وشفتيها، فصارت رمادية أيضًا. كانت نحيلة وهزيلة، ولم تعد تبتسم مطلقًا. حين جاءت دوروثي، اليتيمة، إليها أول مرة، ذهلت الخالة إم بضحكة الطفلة، وكانت تصرخ وتضع يدها على قلبها كلما بلغ أذنيها صوت دوروثي المرح، وظلت تنظر إلى الطفلة في عجب لتجد شيئًا يُضحكها.

لم يضحك الخال هنري أبدًا. بل كان يعمل جاهدًا من الصباح حتى المساء، ولم يعرف المرح. كان رماديًا أيضًا، من لحيته الطويلة

إلى حذائه القبيح، وكان مظهره جادًا ووقورًا، ولا يتحدث إلا نادرًا.

كان توتو من يُضحك دوروثي، فأنقذها من أن تصبح رمادية مثل محيطها. لم يكن تاتو رماديًا، بل كان كلبًا صغيرًا أسود، له شعر طويل ناعم، وعينان سوداوان صغيرتان تلمعان بسعادة على كل جانب من أنفه المضحك الصغير. كان توتو يلعب طوال النهار، وتلعب دوروثي معه وتحبه بقوة.

لم يكونا يلعبان اليوم على أية حال. فقد جلس الخال هنري على عتبة الباب، مصوبًا نظره شطر السماء، التي كان رمادية أكثر من المعتاد. وقفت دوروثي قرب الباب تحمل توتو بين ذراعيها، ونظرت إلى السماء أيضًا. كانت الخالة إم تغسل الصحون. فسمعوا من أقصى الشمال البعيد عويلًا خفيضًا للرياح، واستطاع الخال هنري ودوروثي أن يريا اتجاه انحناء العشب في موجات قبل هبوب العاصفة. ثم انطلق صفير حاد في الهواء قادمًا من الجنوب، وحين نقلا أنظارهما إلى ذلك الاتجاه، شاهدا تموجات في الحشائش قادمة من تلك الجهة أيضًا.

وقف الخال هنري فجأة.

«الإعصار قادم يا إم»، نادى على زوجته، «سأذهب للاعتناء بالحظيرة». ثم جرى نحو العزال الذي أسكنت فيه الأبقار والجياد.

تركت الخالة إم عملها واقتربت من الباب. وكانت نظرة واحدة كافية لإخبارها بالخطر الوشيك.

صاحت: «أسرعي يا دوروثي! اجري نحو القبو!».

قفز توتو من ذراعي دوروثي واختبأ تحت السرير، وهرعت الفتاة لإحضاره. فتحت الخالة إم، المذعورة بشدة، البويب في الأرضية ونزلت السلم إلى الحفرة الصغيرة المظلمة. أمسكت دوروثي بتوتو أخيرًا، وذهبت لتلحق بخالتها. وحين كانت في منتصف طريقها أطلقت الريح زعقة حادة، واهتز البيت بقوة، حتى إنها فقدت توازنها وجلست على الأرض فجأة.

فحدث حينئذٍ أمر غريب.

دار البيت دورتين أو ثلاث وارتفع في الهواء ببطء، وشعرت دوروثي كأنها كانت تطير في منطاد.

التقت ريح الشمال وريح الجنوب في موقع البيت، وجعلتاه مركز الإعصار تمامًا. كان الهواء ساكنًا عمومًا في وسط الإعصار، غير أن ضغط الرياح الكبير على البيت من كل جانب رفع البيت أعلى وأعلى، حتى بلغ قمة الإعصار وظل هناك، وحُمل بعيدًا أميالًا وأميالًا، بسهولة كما تُحمل ريشة.

كانت الظلمة حالكة، وعصفت الريح بقوة حولها، لكن دوروثي رأت أنها كانت تركب الريح بسهولة. شعرت دوروثي بعد الدورات القليلة الأولى، وحين مال البيت بقوة مرة أخرى، أنها تهز بهدوء مثل طفل في مهد.

لم يعجب الأمر توتو، فجرى في أرجاء الغرفة، مرة هنا ومرة

هناك وهو ينبح نباحًا عاليًا. لكن دوروثي جلست هادئة على الأرض وانتظرت لترى ما سيحدث.

عندها اقترب توتو من البويب المفتوح، وسقط، فظنت الفتاة بادئ الأمر أنها فقدته. لكنها سرعان ما رأت إحدى أذنيه بادية من الفتحة، لأن ضغط الرياح الشديد كان يبقيه في الأعلى، ولذا لم يسقط. حبت نحو الفتحة وأمسكت توتو من أذنه، وجذبته إلى الغرفة ثانية، ثم أغلقت البويب حتى لا تقع حوادث أخرى.

مرت الساعة تلو الساعة، وتغلبت دوروثي ببطء على خوفها، لكنها شعرت بالوحدة. وعصفت الريح عصفًا عاليًا من حولها حتى إنها كادت تصاب بالصمم. تساءلت في بادئ الأمر إن كانت ستتحطم إلى قطع حين يسقط البيت ثانية، ولكن ما إن مرت الساعات، ولم يقع أمر رهيب حتى كفت عن القلق وقررت أن تنتظر بهدوء وترى ما يجلبه المستقبل. ثم زحفت في النهاية على الأرض المتأرجحة إلى سريرها، واستلقت عليه، وتبعها توتو واستلقى قربها.

أغمضت دوروثي عينها سريعًا وغطت في النوم، رغم تأرجح البيت وعويل الريح.

الفصل الثاني
لقاء المُنشكن[1]

استيقظت دوروثي على ارتطام مفاجئ وقوي جدًا، ولولا أنها كانت تستلقي على الفراش الناعم لأصيبت بأذى. ولما كانت هذه هي الحال، فقد جعلتها الصدمة تحبس أنفاسها وتتساءل عما حدث، ووضع توتو أنفه الصغير البارد تحت وجهها وأخذ يئن حزينًا. اعتدلت دوروثي ولاحظت أن البيت لم يعد يتحرك، ولم يعد الخارج مظلمًا، لأن الشمس الساطعة لاحت من النافذة وقد غمرت الغرفة الصغيرة. فقفزت من فراشها وتوتو يلاحقها وفتحت الباب.

أطلقت الفتاة الصغيرة صيحة دهشة ونظرت حولها، وقد اتسعت عيناها أكثر وأكثر لمرأى المناظر الرائعة أمامها.

لقد أنزل الإعصار البيت بهدوء، بالنسبة إلى إعصار، وسط

---

(١) يرى مايكل پاترك هيرن أن هذا الاسم من ابتكار بام، ثم دخل اللغة في وقت لاحق. وقد فسرت النسخة العاشرة من قاموس مريام ويستر الجامعي لعام ١٩٩٨ المُنشكن بأنه شديد القصر ويكون محببًا في الغالب. ولكن الطبعة الرابعة من قاموس وبسترز نيو ورلد تضيف تفاصيل لم ترد في نص بام: «كائن خيالي له جسد بشري قصير وطبع أنيس وطيّع ومسالم». كما صارت لفظة المنشكن اليوم اسمًا لكعكات دنكن دونتس الشهيرة.

بلاد ساحرة الجمال. إذ كان فيها رقع جميلة من المروج الخضراء في كل الأنحاء، وأشجار فاتنة تحمل ثمارًا وفيرة وشهية. وصفوف من الزهور الساحرة في كل مكان، وغنت طيور ذات ريش نادر لامع ورفرفت على الأشجار والأحراش. وكان يبعد عنها قليلًا غدير صغير يجري ويتلألأ بين ضفتيه الخضراوين، ويخرخر بصوت مرحّبٍ بالفتاة الصغيرة التي عاشت طويلًا في السهوب الجافة الرمادية.

وحين وقفت تتأمل متلهفة المناظر الغريبة والجميلة أمامها، رأت جماعة من أغرب الناس الذين شاهدتهم في حياتها تقبل عليها. لم يكونوا كبارًا مثل البالغين الذين اعتادت رؤيتهم، كما أنهم لم يكونوا صغارًا جدًا. في الحقيقة، بدا طولهم مماثلًا طول دوروثي، التي كانت فتاة حسنة البنية وفقًا لعمرها، رغم أنهم كانوا، كما يبدو من مظهرهم، يكبرونها بسنوات.

كان ثلاثة منهم رجالًا وامرأة واحدة، وكانوا جميعًا يرتدون ثيابًا غريبة. فقد اعتمروا قبعات مدورة ترتفع قدمًا فوق رؤوسهم، ولها أجراس صغيرة على حوافها ترن كلما تحركوا. كانت قبعات الرجال زرقاء، أما قبعة المرأة القصيرة فكانت بيضاء، وقد ارتدت عباءة بيضاء لها ثنيات عند كتفيها، تناثرت عليها نجوم صغيرة برقت في ضوء الشمس مثل الماس. أما الرجال فكانوا يرتدون الثياب الزرق، بلون قبعاتهم نفسه، وارتدوا أحذية طويلة ملمعة جيدًا لها شرابات طويلة زرقاء في أعلاها. كان الرجال، بظن دوروثي، بعمر الخال هنري، لأن لاثنين منهم لحى، لكن المرأة الصغيرة كانت أكبر

منهم بكثير حتمًا. إذ ملأت التجاعيد وجهها، وكان شعرها أبيض تقريبًا، وتمشي بشيء من الصعوبة.

حين مر هؤلاء الأشخاص بالبيت حيث كانت دوروثي تقف أمام الباب، توقفوا وتهامسوا، كأنما يخشون التقدم أكثر. لكن المرأة العجوز القصيرة تقدمت نحو دوروثي، وانحنت قليلًا وقالت في صوت عذب:

«مرحبًا بك في بلاد المُنشكن أيتها الساحرة النبيلة. نقدم إليك امتناننا لقتلك ساحرة الشرق الشريرة، ولتحريرك شعبنا من العبودية».

أصغت دوروثي إلى هذا الخطاب بعجب. ما الذي تعنيه هذه المرأة القصيرة بتسميتها ساحرة، وقولها إنها قتلت ساحرة الشرق الشريرة؟ كانت دوروثي فتاة بريئة صغيرة مسالمة، أبعدها الإعصار أميالًا بعيدة عن ديارها، ولم يسبق لها أن قتلت شيئًا في كل حياتها.

لكن المرأة القصيرة انتظرت منها ردًا حتمًا، فقالت دوروثي بشيء من التردد:

«إنك لطيفة جدًا، لكن لا بد أن في الأمر خطأ ما، لأنني لم أقتل شيئًا».

«لقد فعلها بيتك على أية حال»، أجابت المرأة العجوز القصيرة ضاحكة، «وهذا هو الأمر نفسه. انظري!»، وواصلت حديثها مشيرة إلى زاوية البيت، «انظري إلى أصابع قدميها، ما زالت تبرز خارجًا من تحت كومة الخشب».

نظرت دوروثي وأطلقت صرخة ذعر قصيرة. فقد كان تحت طرف رافدة البيت الكبيرة قدمان برزتا خارجًا، تنتعلان حذاءين فضيين مدببين.

«أوه يا إلهي! أوه يا إلهي!»، صاحت دوروثي ضامة يديها في ضيق، «لا بد أن البيت وقع عليها. ما الذي نستطيع فعله؟».

«لا يمكن فعل شيء»، قالت المرأة القصيرة بهدوء.

«لكن من تكون؟»، سألت دوروثي.

«كانت ساحرة الشرق الشريرة كما قلت. وقد حكمت كل شعب المُنشكن لسنوات عدة، جاعلة منهم عبيدًا لها ليلًا ونهارًا. لكنهم الآن صاروا أحرارًا، ويشكرونك على هذا المعروف»، أجابت المرأة القصيرة.

«ومن يكونون المُنشكن؟»، سألت دوروثي.

«إنهم الشعب الذي يسكن بلاد الشرق هذه، حيث حكمت الساحرة الشريرة».

«وهل أنت منهم؟»، سألت دوروثي.

«كلا، لكني صديقة لهم رغم أنني أعيش في بلاد الشمال. وقد أرسلوا إلي رسولًا سريعًا حين رأوا ساحرة الشرق الشريرة ميتة، فجئت من فوري. أنا ساحرة الشمال».

«يا إلهي!»، صاحت دوروثي، «هل أنت ساحرة حقيقية؟».

«أجل حقًا»، أجابت المرأة القصيرة، «لكني ساحرة طيبة، والناس يحبونني. لا أملك قوى مثل التي تملكها الساحرة الشريرة التي حكمت هذه البلاد، وإلا لكنت حررت شعبها بنفسي».

«لكني ظننت كل الساحرات شريرات»، قالت الفتاة التي كانت نصف خائفة من مواجهة ساحرة حقيقية.

«أوه، كلا. هذا خطأ كبير. في كل بلاد أوز أربع ساحرات، اثنتان منهن ساحرتان طيبتان، واحدة تعيش في الشمال والأخرى في الجنوب. أعرف هذا حقًا لأنني إحداهما، ولا يمكن أن أخطئ. أما اللتان تعيشان شرقًا وغربًا فهما ساحرتان شريرتان فعلًا. لكن الآن وقد قتلت إحداهما، فليس في كل بلاد أوز إلا ساحرة واحدة شريرة، تلك التي تعيش في الغرب».

«لكن»، قالت دوروثي بعد لحظة تأمل، «أخبرتني الخالة إم أن كل الساحرات مُتن قبل سنوات بعيدة».

«ومن هي الخالة إم؟»، سألت العجوز القصيرة.

«إنها خالتي التي تعيش في كنساس، المكان الذي منه أتيت».

أخذت ساحرة الشمال تفكر للحظة، وقد أحنت رأسها وصوبت نظرها نحو الأرض. ثم رفعت عينيها وقالت:

«لست أدري أين تقع كنساس، لأنني لم أسمع باسم هذه البلاد من قبل. لكن أخبريني هل هي بلاد متحضرة؟».

«أوه، أجل»، أجابت دوروثي.

«هذا يفسر الأمر إذًا. لم يبق في البلدان المتحضرة أي ساحرة كما أظن، ولا رقاة ولا مشعوذين ولا سحرة. لكن كما ترين فإن بلاد أوز ليست متحضرة، لأننا منقطعون عن بقية العالم، ولهذا ما زال بيننا سحرة وساحرات».

«ومن هم السحرة؟»، سألت دوروثي.

«أوز نفسه هو الساحر الكبير»، أجابت الساحرة خافضة صوتها إلى الهمس، «إنه أقوى من بقيتنا مجتمعين، وهو يعيش في مدينة الزمرد».

كانت دوروثي ستسأل سؤالًا آخر، لكن أطلق أحد المنشكن الذين كانوا يقفون صامتين على مقربة منهما صرخة عالية وأشار إلى زاوية البيت التي رقدت فيها الساحرة الشريرة.

«ما الأمر؟»، سألت العجوز القصيرة، ونظرت وأخذت تضحك. فقد اختفت قدما الساحرة الشريرة تمامًا ولم يبق سوى الحذاء الفضي.

«لقد كانت مسنة جدًا»، شرحت ساحرة الشمال، «فجفت سريعًا تحت الشمس. هذه نهايتها، لكن الحذاء الفضي لك، ويجب أن ترتديه». فانحنت للأسفل وحملت الحذاء، وناولته لدوروثي بعد أن نفضت عنه الغبار.

«كانت ساحرة الشرق فخورة بهذا الحذاء»، قال أحد المنشكن، «فهو مرتبط بتعويذة، غير أننا لا نعرفها».

حملت دوروثي الحذاء إلى البيت ووضعته على الطاولة، ثم خرجت ثانية إلى المنشكن وقالت: «أود العودة إلى خالتي وخالي، لأنني واثقة أنهما قلقان علي. هل يمكنكم إرشادي إلى الطريق؟».

تبادل المنشكن والساحرة النظر في بادئ الأمر، ثم نظروا إلى دوروثي ثم هزوا رؤوسهم نفيًا.

قال أحدهم: «في الشرق ليس بعيدًا عن هنا، صحراء كبيرة ولا يمكن لأحد أن يعبرها حيًا».

وقال آخر: «والأمر نفسه إلى الجنوب، لأنني كنت هناك ورأيتها. وفي الجنوب تقع بلاد الكوادلنغ».

قال الرجل الثالث: «قيل لي إن الأمر نفسه في الغرب، وتلك هي البلاد التي يسكنها الونكي تحكمها ساحرة الغرب الشريرة، التي ستجعل منك عبدة لها إن مررت بطريقها».

قالت السيدة العجوز: «أما الشمال فهو أرضي، وعلى حدوده الصحراء الكبيرة نفسها التي تحيط أرض أوز هذه. أخشى يا عزيزتي أن عليك العيش معنا».

أخذت دوروثي تنشج لسماع هذا، لأنها شعرت بالوحدة بين هؤلاء الناس الغرباء. فرقّ المنكشن مرهفو القلوب لدموعها، لأنهم أخرجوا مناديلهم فورًا وأخذوا يبكون أيضًا. أما العجوز القصيرة فقد خلعت قبعتها وأركزت حافتها على طرف أنفها، وهي تعدّ في صوت وقور «واحد، اثنان، ثلاثة». فتحولت القبعة

حالًا إلى لوح صخري كتب عليه بالطباشير بحروف بيضاء كبيرة:

«قولي لدورثي أن تذهب إلى مدينة الزمرد».

رفعت العجوز القصيرة اللوح من على أنفها، وحين قرأت ما كتب عليه سألت: «هل اسمك دوروثي يا عزيزتي؟».

«أجل»، أجابت الطفلة وهي ترفع نظرها وتجفف دمعها.

«فعليك إذًا الذهاب إلى مدينة الزمرد. ربما يستطيع أوز مساعدتك».

«وأين تقع هذه المدينة؟»، سألت دوروثي.

«إنها في وسط البلاد تمامًا، يحكمها أوز، الساحر العجيب الذي أخبرتك عنه».

«هل هو رجل طيب؟»، سألت الفتاة قلقة.

«إنه ساحر طيب. ولست أدري إن كان رجلًا أم غير ذلك، لأنني لم أره مطلقًا».

«كيف أستطيع الوصول إليه؟»، سألت دوروثي.

«عليك أن تمشي. إنها رحلة طويلة عبر الأرض التي تكون جميلة تارة، ومخيفة ومظلمة تارة أخرى. سأستخدم على أية حال كل فنون السحر التي أعرفها لأبعد عنك الأذى».

«ألن تذهبي معي؟»، توسلت الفتاة التي أخذت تنظر إلى العجوز القصيرة كأنها صديقتها الوحيدة.

«كلا، لا يمكنني فعل ذلك»، أجابت، «لكني سأمنحك قبلتي، ولن يجرؤ أحد على إيذاء من قبلته ساحرة الشمال».

ثم اقتربت من دوروثي وقبلتها بلطف على جبينها. وتركت شفتاها حيث مستا الطفلة علامة مستديرة لامعة، كما عرفت دوروثي لاحقًا.

قالت الساحرة «إن الطريق إلى مدينة الزمرد مرصوف بحجارة صفراء، فلن تضلي الطريق. لا تخافي من أوز إن رأيته، بل أخبريه بقصتك واطلبي منه مساعدتك. إلى اللقاء يا عزيزتي».

انحنى المنشكن الثلاثة لها وتمنوا لها رحلة سعيدة، ومن ثم ساروا مبتعدين بين الأشجار. أومت الساحرة لدوروثي إيماءة لطيفة، ودارت على كعبها الأيسر ثلاث مرات ثم اختفت فورًا، مثيرة دهشة توتو الذي نبح خلفها بصوت عالٍ حين رحلت، لأنه كان يخشى حتى إن يهر في وجودها.

لكن دوروثي، بعد أن تيقنت من أنها ساحرة طيبة، توقعت أن تختفي بهذه الطريقة تمامًا، ولم تنتبها الدهشة بتاتًا.

الفصل الثالث

دوروثي تنقذ الفزاعة

شعرت دوروثي بالجوع حين صارت وحدها، فاتجهت نحو الخزانة وقطعت لنفسها قطعة من الخبز دهنتها بالزبدة، وأعطت بعضًا لتوتو. ثم تناولت دلوًا من الرف وحملته إلى الغدير الصغير وملأته بالماء الصافي المتلألئ. ركض توتو نحو الأشجار وأخذ ينبح على الطيور الجالسة عليها. ذهبت دوروثي لإعادته، فرأت ثمارًا لذيذة تتدلى من الأغصان وجمعت بعضها، ووجدت أنها ما أرادت تناوله على الإفطار.

ثم عادت إلى البيت، وأعدت لنفسها ولتوتو شرابًا طيبًا من الماء البارد الصافي، وأخذت تستعد للرحلة إلى مدينة الزمرد.

كان لدوروثي ثوبٌ واحد آخر، وصادف أن يكون هذا نظيفًا معلقًا على شماعة قرب سريرها. كان ثوبًا قطنيًا ذا مربعات باللونين الأبيض والأزرق، ورغم أن اللون الأزرق قد بهت قليلًا من كثرة الغسيل، فإنه ظل ثوبًا جميلًا. اغتسلت الفتاة بعناية وارتدت الثوب القطني النظيف، وعقدت ربطة قبعتها الزهرية إلى رأسها. وأخذت

سلة صغيرة ملأتها بالخبز من الخزانة، وغطته بقماش أبيض. ثم نظرت إلى قدميها ورأت أن حذاءها كان قديمًا ومهترئًا جدًا.

قالت: «لن يكون هذا الحذاء مناسبًا لرحلة طويلة يا توتو»، ونظر توتو إلى وجهها بعينيه الصغيرتين السوداوين وهز ذيله ليبين لها أنه فهم ما تعنيه.

رأت دوروثي عندئذ الحذاء الفضي الذي كان لساحرة الشرق، موضوعًا على الطاولة.

«أتساءل إن كان يناسبني»، قالت لتوتو، «إذ سيكون مناسبًا تمامًا للسير الطويل، لأنه لا يهترئ».

خلعت حذاءها الجلدي القديم وجربت ارتداء الفضي، الذي ناسبها كأنما قد صنع من أجلها.

ثم حملت إفطارها أخيرًا.

قالت: «هلم بنا يا توتو. نحن ذاهبان إلى مدينة الزمرد لنسأل أوز العظيم كيف نعود إلى كنساس ثانية».

أغلقت الباب وأقفلته، ووضعت المفتاح في جيب ثوبها بحرص. وهكذا انطلقت في رحلتها، وتوتو يهرول خلفها بجد.

كان أمامها الكثير من الطرق، غير أن الأمر لم يستغرق منها طويلًا لتعثر على الطريق المرصوف بالحجارة الصفراء. وسرعان ما أخذت تغذ السير نحو مدينة الزمرد، وحذاؤها الفضي يقرع الطريق الصلد الأصفر بمرح. سطعت الشمس وغنت الطيور بعذوبة، ولم

تشعر دوروثي بالضيق كما قد يتبادر في ذهنك أن يكون شعور فتاة صغيرة حملت فجأة بعيدًا عن بلادها وهبطت على أرض غريبة.

أدهشها أثناء مشيها جمال البلاد المحيطة بها، إذ كان على جانبي الطريق أسوار أنيقة مطلية باللون الأزرق البهيّ، وخلفها حقول من الحبوب والخضراوات الوفيرة. من الجلي أن المنشكن مزارعون بارعون قادرون على زرع محاصيل كثيرة. كانا يمران بين الفينة والأخرى ببيت، خرج أهله لإلقاء نظرة عليها والانحناء لها تحية أثناء مرورها، لأن الجميع عرفوا أنها كانت السبب في هلاك الساحرة الشريرة وتحريرهم من العبودية. كانت بيوت المنشكن مساكن غريبة المظهر، لأن الواحد منها مدور ذو سطح على هيئة قبة كبيرة. وكانت كلها مطلية بالأزرق، لأن الأزرق كان اللون الأثير في بلاد الشرق هذه.

حين اقترب المساء، وتعبت دوروثي من السير الطويل وأخذت تتساءل أين ستقضي الليلة، وصلت إلى بيت أكبر من المنازل الأخرى بعض الشيء. كان الكثير من الرجال والنساء يرقصون على المرج الأخضر أمامه، وعزف خمسة من عازفي الكمان بأقصى ما يستطيعون من صخب، وكان الناس يضحكون ويغنون، وقربهم طاولة تغص بالثمار والجوز والفطائر والكعكات الشهية، والكثير من أطايب الطعام الأخرى.

حيى الناس دوروثي بلطف، ودعوها لتناول الطعام وقضاء الليلة معهم، لأن هذا كان بيت أحد أثرياء المنشكن في البلاد، وقد

اجتمع معه أصدقاؤه للاحتفال بحريتهم من استعباد الساحرة الشريرة.

تناولت دوروثي عشاء لذيذًا وقد قام على خدمتها المنشكن الثري بنفسه، الذي كان يدعى بوك. ثم جلست على أريكة لمشاهدة الناس يرقصون.

حين رأى بوك حذاءها الفضي قال: «لا بد أنك ساحرة عظيمة».

«لماذا؟»، سألت الفتاة.

«لأنك ترتدين حذاء فضيًا وقتلت الساحرة الشريرة. كما أن في ثوبك لونًا أبيض ولا يرتدي الأبيض سوى الساحرات والراقيات».

«إن ثوبي ذو مربعات باللونين الأزرق والأبيض»، قالت دوروثي وهي تعدل تجعيداته.

قال بوك: «لطف منك أن ترتدي هذا، فالأزرق هو لون المنشكن والأبيض لون الساحرات، وهكذا نعرف أنك ساحرة طيبة».

لم تجد دوروثي ما تقول، إذ بدا أن الجميع يظنونها ساحرة، وكانت تعرف جيدًا أنها ليست سوى فتاة صغيرة عادية، جاءت بمحض الصدفة بفعل الإعصار إلى بلاد غريبة.

وحين ضجرت من مشاهدة الرقص، أدخلها بوك إلى البيت وقادها إلى غرفة فيها سرير جميل. كانت الأغطية مصنوعة من قماش أزرق، ونامت فيها دوروثي بهدوء حتى الصباح، وقد التف توتو على بساط أزرق قربها.

ثم تناولت إفطارًا شهيًا، ورأت طفل منشكن صغيرًا، يلعب مع توتو ويجر ذيله ويزعق ويضحك على نحو أمتع دوروثي كثيرًا. كان توتو شيئًا غريبًا على كل الناس، فلم يسبق لهم أن رأوا كلبًا في حياتهم.

«كم تبعد مدينة الزمرد؟»، سألت الفتاة.

«لست أدري»، أجاب بوك بوقار، «لأنني لم أذهب إليها مرة. من الأفضل للناس أن يظلوا بعيدين عن أوز ما لم يكن لهم شأن معه. لكنها طريق طويلة إلى مدينة الزمرد، وستستغرق الرحلة أيامًا عديدة. البلاد هنا جميلة ومبهجة، لكن سيتعين عليك المرور بأماكن خطرة ومخيفة قبل بلوغك نهاية رحلتك».

أقلق هذا دوروثي قليلًا، لكنها عرفت أن لا أحد سيساعدها سوى أوز العظيم لتتمكن من العودة إلى كنساس ثانية، فعزمت بشجاعة على ألا تعود أدراجها.

ودعت أصدقاءها، وانطلقت مرة أخرى للسير على طريق الحجارة الصفراء. خطر لها، بعد أن قطعت عدة أميال، أن تتوقف وترتاح، فصعدت إلى أعلى السياج المحاذي للطريق وجلست عليه. كان خلف السياج حقل ذرة واسع، وعلى مقربة منها رأت فزاعة، رفعت عاليًا على شاخصٍ لإبعاد الطيور عن الذرة الناضجة.

أسندت دوروثي ذقنها على يدها وأخذت تحدق بالفزاعة متأملة. كان رأسه كيسًا صغيرًا محشوًا بالقش، وقد رسمت له عينان وأنف وفم ليكون له وجه. وعلى رأسه جثمت قبعة زرقاء قديمة مدببة، لا بد أنها كانت لأحد المنشكن، وتكسو جسده بدلة زرقاء

بالية ورثة، حشيت بالقش أيضًا. وفي مكان القدمين حذاء قديم لونه أزرق، مثل الذي يرتديه كل رجال هذه البلاد، وقد رفع الفزاعة فوق عيدان الذرة بشاخص ألصق بظهره.

حين كانت دوروثي تطيل النظر في الوجه المرسوم الغريب للفزاعة، فوجئت برؤية إحدى عينيه تغمز لها. ظنت أنها مخطئة في بادئ الأمر، إذ لم يغمز أحد من الفزاعات في كنساس يومًا، لكن ذلك الشيء أومأ لها برأسه بود. فنزلت من السور وسارت إليه، وتوتو يجري حول الشاخص وينبح.

«نهارًا سعيدًا»، قال الفزاعة بصوت أجش.

«هل يمكنك الكلام؟»، سألت الفتاة في عجب.

«بلا شك»، أجاب الفزاعة، «كيف حالك؟».

«أنا بخير، شكرًا لك»، أجابت دوروثي بتهذيب، «وكيف حالك؟».

«أنا لست بخير»، قال الفزاعة مبتسمًا، «لأن الجلوس هنا ليلًا ونهارًا لإخافة الغربان أمر مضجر».

«ألا يمكنك النزول؟»، سألت دوروثي.

«كلا، لأن هذا الشاخص ملتصق بظهري. فإن تفضلت بإزاحته سأكون شديد الامتنان لك».

مدت دوروثي ذراعيها ورفعت الفزاعة من على الشاخص، فقد كان خفيفًا جدًا لأنه محشو بالقش.

قال الفزاعة حين أنزل أرضًا «أشكرك جزيل الشكر، أشعر أنني رجل جديد».

انتابت دوروثي الحيرة لسماع هذا، لأن سماع رجل محشو يتحدث، ورؤيته ينحني ويمشي بجانبها كان أمرًا غريبًا.

«من أنت؟»، سأل الفزاعة حين تمطط وتثاءب، «وإلى أين تذهبين؟».

«اسمي دوروثي»، قالت الفتاة، «وأنا ذاهبة إلى مدينة الزمرد لأطلب من أوز العظيم أن يعيدني إلى كنساس».

فسأل: «وأين تقع مدينة الزمرد؟ ومن هو أوز؟».

«عجبًا، ألا تعرف؟» أجابت في دهشة.

«كلا، حقًا. لست أعرف شيئًا. فأنا محشو كما ترين، ولا عقل لي أبدًا»، أجاب الفزاعة بأسى.

قالت دوروثي: «أوه، أنا بالغة الأسف من أجلك».

ثم سأل: «هل تظنين، إن ذهبت إلى مدينة الزمرد معك، أن أوز العظيم سيمنحني عقلًا؟».

فأجابت: «لست أدري. لكن بوسعك المجيء معي، إن شئت. وإن لم يعطك أوز عقلًا، فلن تكون حالك أسوأ مما هي عليه الآن».

«هذا صحيح»، قال الفزاعة، ثم واصل كلامه بثقة «لست أبالي إن كانت ساقاي وذراعاي وجسدي كلها محشوة، لأنني لن أشعر

بالألم كما ترين. ولن أبالي إن داس أحدهم على قدمي أو غرس دبوسًا في جسدي، لأنني لا أشعر بذلك. لكنني لا أود أن يدعوني الناس بالأحمق، وإن ظل رأسي محشوًا بالقش بدلًا من أن يكون فيه عقل، كعقلك، فكيف لي أن أعرف أي شيء؟».

«أفهم ما تشعر به»، قالت الفتاة الصغيرة التي شعرت بأسى عميق لأجله، «سأطلب من أوز أن يفعل كل ما بوسعه من أجلك إن جئت معي».

«شكرًا لك»، أجاب بامتنان.

ثم سارا عائدين إلى الطريق، وساعدته دوروثي في تخطي السياج، وانطلقا على طريق الحجارة الصفراء للذهاب إلى مدينة الزمرد.

لم تعجب توتو هذه الإضافة إلى المجموعة في بادئ الأمر. كان يتشمم الرجل المحشو كأنه يرتاب بوجود مأوى للجرذان في القش، وكان يعبس في وجه الفزاعة بعدائية.

قالت دوروثي لصديقها الجديد «لا تخش توتو، فهو لا يعض».

فرد الفزاعة: «أنا لست خائفًا. فلا يمكنه إيذاء القش. اسمحي لي أن أحمل السلة عنك، لأنني لا أتعب. سأفضي لك بسر»، واصل كلامه وهو يمشي، «ثمة أمر وحيد أخافه في العالم».

«وما ذاك؟»، سألت دوروثي، «أهو مزارع المنشكن الذي صنعك؟».

«كلا. بل أخشى عود الثقاب المشتعل»، رد الفزاعة.

الفصل الرابع

طريق الغابة

أخذ الطريق يغدو وعرًا بعد بضع ساعات من المسير، وغدا المشي أصعب حتى إن الفزاعة تعثر كثيرًا على الحجارة الصفراء، التي لم تكن مستوية في هذا المكان. فقد كانت، في حقيقة الأمر، مكسورة أو مفقودة، مخلفة حفرًا قفز توتو فوقها ودارت دوروثي حولها. أما الفزاعة، لأنه بلا عقل، كان يمشي إلى الأمام مباشرة، فمشى فوق الحفر ووقع فيها على الحجارة الصلبة. لم يكن ذلك ليؤلمه، على أية حال، وكانت دوروثي تخرجه وتوقفه على قدميه ثانية، وهو ينضم إليها ضاحكًا بسعادة على ما وقع له من مكروه.

لم تكن المزارع معتنىً بها هنا بقدر تلك التي خلفوها وراءهم، وكانت البيوت أقل والفاكهة أقل، وكلما تقدموا أكثر، غدت البلاد أكثر كآبة ووحشة.

جلسوا على جانب الطريق عند الظهيرة، قرب غدير صغير وفتحت دوروثي سلتها وأخرجت بعض الخبز. قدمت قطعة منه للفزاعة لكنه أبى:

«أنا لا أجوع مطلقًا»، قال، «وأن أكون كذلك لهو أمر جيد. لإني لست إلا رسمة، وإن كنت سأصنع ثقبًا لأستطيع الأكل، فسيخرج القش الذي حشيت به، وهذا سيفسد شكل رأسي».

ورأت دوروثي فورًا أنه محق في ذلك، فاكتفت بهز رأسها وواصلت تناول خبزها.

«أخبريني شيئًا عنك وعن البلاد التي جئت منها»، قال الفزاعة حين فرغت من تناول عشائها. فأخبرته كل شيء عن كنساس، وكيف أن كل شيء فيها رمادي، وكيف حملها الإعصار إلى بلاد أوز الغريبة هذه. أصغى الفزاعة باهتمام ثم قال: «لست أدري لم ترغبين بترك هذه البلاد الجميلة والعودة إلى المكان الجاف الرمادي الذي تسمينه كنساس».

«هذا لأنك لا عقل لك»، أجابت الفتاة، «إننا -الناس المخلوقين من لحم ودم- نؤثر العيش في أوطاننا مهما كانت رمادية وكئيبة، على أي مكان آخر مهما بلغ جماله. فليس ثمة مكان يشبه الوطن».

تنهد الفزاعة.

«لا يمكنني فهم الأمر بطبيعة الحال»، قال، «لو كانت رؤوسكم محشوة بالقش، مثل رأسي، فستعيشون على الأرجح في الأماكن الجميلة، وستقفر كنساس من أهلها. من حسن حظ كنساس أن لكم عقولًا».

«ألن تروي لي قصة ما دمنا نأخذ قسطًا من الراحة؟»، سألت الطفلة.

نظر الفزاعة إليها مؤنبًا وأجاب:

«كانت حياتي قصيرة جدًا حتى إنني لا أعرف شيئًا البتة. فقد صنعت أمس الأول فحسب. وأجهل تمامًا ما حدث في العالم قبل ذلك الوقت. حين صنعني المزارع، لحسن الحظ، كان أول ما فعله أن رسم أذنيّ فسمعت ما كان يجري. كان معه منشكن آخر، وأول ما سمعته قول المزارع:

«كيف ترى هذين الأذنين؟».

«إنهما ليستا مستقيمتين»، أجاب الآخر.

«لا يهم، فهما أذنان رغم ذلك»، قال المزارع. وقد كان محقًا.

«والآن سأرسم العينين»، قال المزارع. فرسم عيني اليمنى، وما إن فرغ منها حتى وجدتني أنظر إليه وإلى كل شيء من حولي بقدر كبير من الفضول، لأن هذه كانت نظرتي الأولى على العالم.

«هذه عين جميلة»، قال المنشكن الذي كان يراقب المزارع، «إن الأزرق هو اللون المناسب للعينين».

«أظنني سأجعل الأخرى أكبر قليلًا»، قال المزارع. وحين فرغ من العين الأخرى كان بوسعي أن أرى أفضل من ذي قبل. ثم رسم أنفي وفمي، لكنني لم أتحدث لأنني في ذلك الوقت لم أعلم مغزى وجود الفم. استمتعت بمراقبتهما يصنعان جسدي وذراعيّ وساقيّ، وحين ثبتا رأسي، في النهاية، شعرت بالزهو لأنني ظننت أنني رجل صالح مثل أي رجل.

«سيخيف هذا الرفيق الغربان سريعًا»، قال المزارع، «فهو يشبه الرجال».

«عجبًا، إنه رجل»، قال الآخر وأنا أتفق معه تمامًا. حملني المزارع تحت ذراعه إلى حقل الذرة، وعلقني على عصا طويلة حيث وجدتني. وسرعان ما غادر هو وصديقه وتركاني وحيدًا.

لم أرغب أن أُهجر على هذا النحو، لذا حاولت أن أتبعهما لكن قدميّ لم تمسا الأرض، وكنت مجبرًا على البقاء معلقًا على ذلك الشاخص. كنت أعيش حياة وحدة، ولم يكن لدي ما أفكر به، فقد صنعت قبل وقت قصير. حطت الكثير من الغربان والطيور في حقل الذرة، لكنها تحلق مبتعدة ما إن تراني، ظانة أنني واحد من المنشكن. وقد أسعدني هذا وأشعرني أنني امرؤ مهم. بعد ذلك حلق غراب مقتربًا مني، وبعد أن أمعن النظر إلي جثم على كتفي وقال:

«أتساءل إن كان ذلك المزارع يظن أنه خدعني بهذه الطريقة الخرقاء. بوسع أي غراب ذكي أن يرى أنك لست سوى محشو بالقش». ووثب إلى قدميّ وأكل كل ما يشتهي من الذرة. ثم جاءت الطيور الأخرى لتأكل الذرة أيضًا، بعد أن رأت أنني لم أؤذه، وتجمع حولي سرب كبير منها في وقت قصير.

شعرت بالحزن لهذا، لأنه أظهر أنني لست فزاعة جيدًا، بعد كل هذا. لكن الغراب هدأني قائلًا: «لو أن لك عقلًا في رأسك فحسب، لكنت رجلًا ذكيًا بقدر أي واحد منهم، بل وأفضل من

بعضهم. فالعقل هو ما يجدر بالمرء الحصول عليه في هذا العالم، ولا يهم إن كان هذا غرابًا أم رجلًا».

بعد رحيل الغربان، فكرت بالأمر مليًا وعقدت العزم على الحصول على عقل. وجئت أنت لحسن الحظ وأنزلتني من الشاخص، وأنا واثق مما سمعت منك أن أوز العظيم سيمنحني عقلًا ما إن نصل إلى مدينة الزمرد».

«أرجو ذلك»، قالت دوروثي جادة، «لأنك تبدو متلهفًا للحصول عليه».

«أوه أجل، أنا متلهف»، أجاب الفزاعة، «أن يعرف المرء أنه أحمق لهو أمر مزعج».

قالت الفتاة: «حسن، لنذهب إذًا»، وأعطت السلة للفزاعة.

لم يعد للأسوار وجود على جانبي الطريق، وكانت الأرض وعرة بورًا. ووصلوا إلى غابة كبيرة مع اقتراب المساء، كانت أشجارها كبيرة وقريبة من بعضها جدًا وأغصانها متشابكة فوق طريق الحجارة الصفراء. كان المكان تحت الأشجار معتمًا، فقد حجبت الأغصان ضوء النهار، لكن المسافرين لم يتوقفوا وواصلوا سيرهم في الغابة.

«إن كان هذا الطريق يقود إلى الداخل، فلا بد أنه يؤدي إلى الخارج»، قال الفزاعة، «وما دامت مدينة الزمرد على الطرف الآخر من الطريق فعلينا الذهاب أينما يأخذنا».

«يمكن لأي امرئ معرفة هذا»، قالت دوروثي.

«حتمًا، ولهذا أعرفه أنا»، أجاب الفزاعة، «ولو كان بحاجة لعقل لمعرفته لما قلته أبدًا».

بعد ساعة أو نحوها خفت الضوء، ووجدوا أنفسهم يتعثرون في العتمة. لم يكن بوسع دوروثي الرؤية مطلقًا، لكن توتو استطاع ذلك لأن بعض الكلاب ترى جيدًا في العتمة، وقال الفزاعة إنه يستطيع الرؤية بوضوح كما في النهار. لذا أمسكت بذراعه واستطاعت أن تمضي قدمًا.

قالت: «إن أمكنك رؤية بيت أو مكان نقضي فيه الليلة، فأخبرني لأن المشي في العتمة مزعج جدًا».

ثم توقف الفزاعة.

«أرى كوخًا صغيرًا على يميننا»، قال، «مبنيًا من ألواح الخشب والأغصان. هل نذهب إليه؟».

«أجل، حتمًا»، أجابت الطفلة، «فأنا منهكة جدًا».

فقادها الفزاعة عبر الأشجار حتى وصلوا إلى الكوخ، ودخلته دوروثي ووجدت سريرًا من ورق الشجر الجاف في إحدى زواياه. فاستلقت في الحال، وغطت في نوم هادئ وتوتو قربها. أما الفزاعة، الذي لا يشعر بالتعب أبدًا، فقد وقف في زاوية أخرى وانتظر بصبر حتى طلع الصباح.

الفصل الخامس
إنقاذ الحطّاب رجل الصفيح

كانت الشمس تسطع من بين الأشجار حين استيقظت دوروثي، وقد قضى توتو وقتًا طويلًا في مطاردة العصافير والسناجب. فاعتدلت ونظرت من حولها، وكان الفزاعة يقف في زاويته بصبر منتظرًا استيقاظها.

«علينا الذهاب والبحث عن الماء»، قالت له.

«لمَ تريدين الماء؟»، سأل.

«لأغسل وجهي من غبار الطريق، ولأشرب فلا يقف الخبز الجاف في حلقي».

«لا بد أن الأمر متعب إن كان المرء مخلوقًا من لحم ودم»، قال الفزاعة بجد، «إذ سيتعين عليه أن ينام ويأكل ويشرب. لكن لديك عقلًا على أية حال، وأن يكون المرء قادرًا على التفكير جيدًا أمر يستحق الكثير من العناء».

غادروا الكوخ وساروا بين الأشجار حتى وجدوا جدولًا

صغيرًا من الماء الصافي، شربت منه دوروثي واغتسلت وتناولت طعامها. ووجدت أنه لم يتبق الكثير من الخبز في السلة، وشعرت الفتاة بالراحة لأن الفزاعة لا يحتاج لأكل شيء، إذ كان لديها من الخبز ما بالكاد يكفيها وتوتو لبقية النهار.

حين فرغت من تناول طعامها، وكانت على وشك العودة إلى طريق الحجارة الصفراء، دهشت لسماع أنين قوي بالقرب منها.

«ما كان ذلك؟»، سألت خائفة.

فأجاب الفزاعة: «لست أدري، لكن يمكننا أن نذهب ونرى».

وبلغت مسامعهم عندئذ آهة أخرى، وتبين أن الصوت قادم من خلفهم. فاستداروا وساروا في الغابة بضع خطوات، حين وجدت دوروثي شيئًا يلمع تحت أشعة الشمس التي تخللت الأشجار. فركضت صوب المكان، ثم توقفت سريعًا مطلقة صيحة دهشة.

فقد قطع نصف إحدى الأشجار الكبيرة، ووقف قربها، بفأس مرفوعة في يديه، رجل صنع من الصفيح. كان رأسه وذراعاه وساقاه كلها موصولة إلى جسده، غير أنه وقف جامدًا تمامًا، كأنما يعجز عن الحركة.

نظرت إليه دوروثي في دهشة، وكذا فعل الفزاعة، أما توتو فقد نبح بحدة وعضّ الساقين الصفيحيتين، اللتين آلمتا أسنانه.

«هل كنت تئن؟»، سألت دوروثي.

فأجاب رجل الصفيح «أجل، لقد فعلت. كنت أتأوه منذ أكثر

من سنة، ولم يسمعني أحد من قبل أو جاء لمساعدتي».

«كيف يمكنني مساعدتك؟»، سألت بلطف لأنها تأثرت بالصوت الحزين الذي تحدث به الرجل.

«هاتي علبة الزيت وزيّتي مفاصلي»، أجاب، «إنها صدئة للغاية حتى إنني لا أستطيع الحركة بتاتًا. لكنني سأكون بخير مرة أخرى إن زيتت مفاصلي جيدًا. ستجدين علبة الزيت على الرف في كوخي».

عادت دوروثي أدراجها إلى الكوخ حالًا ووجدت علبة الزيت ثم عادت وسألت بقلق: «أين مفاصلك؟».

«زيتي عنقي أولًا»، أجاب الحطاب رجل الصفيح. فصبت عليها الزيت، ولأنها كانت صدئة للغاية فقد أمسك الفزاعة برأس رجل الصفيح وحركه بلطف على الجانبين حتى تحرك بسلاسة، وتمكن الرجل عندئذ من تحريكه بنفسه.

«والآن ضعي الزيت على مفاصل ذراعيّ»، قال. وصبت دوروثي الزيت عليهما، وطواهما الفزاعة بحذر حتى زال عنهما الصدأ وعادا جديدين.

أطلق الحطاب رجل الصفيح تنهيدة رضا وأنزل فأسه، الذي أماله قرب الشجرة.

قال: «هذه راحة عظيمة. لقد كنت أحمل الفأس في الهواء منذ أن صدئت، وأنا مسرور لأن بوسعي إنزاله أخيرًا. والآن سأكون بخير تمامًا إن أنت وضعت الزيت على مفاصل ساقيّ».

فصبت الزيت على ساقيه إلى أن تمكن من تحريكهما بسلاسة، فشكرهما مرة بعد أخرى لإطلاق سراحه، إذ كان كائنًا مهذبًا ويقدر معروف الآخرين كثيرًا.

«لو لم تأتوا لظللت واقفًا هناك دومًا»، قال، «وقد أنقذتم حياتي بلا شك. كيف صادف أن جئتم هنا؟».

فأجابت: «نحن ذاهبون إلى مدينة الزمرد لرؤية ساحر أوز العظيم، ونزلنا بكوخك لقضاء الليلة».

«لم تودون رؤية أوز؟»، سأل.

«أريد منه أن يعيدني إلى كنساس، والفزاعة يريده أن يضع عقلًا في رأسه»، أجابت.

بدا أن الحطاب رجل الصفيح غرق في التفكير للحظة، ثم قال:

«هل تظنين أن بوسع أوز منحي قلبًا؟».

«عجبًا، أظن ذلك»، أجابت دوروثي، «سيكون ذلك بسهولة منح عقل للفزاعة».

رد الحطاب رجل الصفيح «صحيح. فهل تسمحون لي بالانضمام إلى جمعكم، سأذهب أنا أيضًا إلى مدينة الزمرد وأطلب من أوز مساعدتي».

«هلم بنا»، قال الفزاعة بحرارة، وأضافت دوروثي أنها ستكون مسرورة برفقته. فوضع الحطاب رجل الصفيح فأسه على كتفه ومشوا كلهم في الغابة حتى وصلوا إلى الطريق المرصوف بالحجارة الصفراء.

طلب الحطاب رجل الصفيح من دوروثي أن تضع علبة الزيت في سلتها، وقال «لأنني سأكون بحاجة شديدة لعبة الزيت إن هطل عليّ المطر وصدئت ثانية».

كان من حسن الحظ أن انضم هذا الرفيق الجديد إلى المجموعة، لأنهم ما إن بدؤوا رحلتهم حتى وصلوا سريعًا إلى مكان تشابكت فيه الأشجار والأغصان على الطريق ومنعت مرور المسافرين. لكن الحطاب رجل الصفيح هب للعمل بفأسه وأحسن قطعها، وسرعان ما غدا الطريق سالكًا أمام الجماعة كلها.

كانت دوروثي غارقة في التفكير أثناء سيرهم، حتى إنها لم تلحظ وقوع الفزاعة في حفرة وتدحرجه إلى جانب الطريق. في الحقيقة كان مضطرًا أن يناديها لمساعدته ثانية.

«لماذا لا تبتعد عن الحفرة؟»، سأل الحطاب رجل الصفيح.

قال الفزاعة مرحًا: «لا أتمتع بذكاءٍ كافٍ. فرأسي محشو بالقش كما تعلم، ولذا أنا ذاهب إلى أوز لأطلب منه منحي عقلًا».

«أوه، فهمت»، قال الحطاب رجل الصفيح، «لكن العقل ليس أفضل الأمور في العالم في نهاية الأمر».

«هل لديك عقل؟»، سأل الفزاعة.

فأجاب الحطاب: «كلا، إن رأسي فارغ تمامًا. لكن كان لي مرة عقل وقلب أيضًا، ولأنني جربت كليهما، أفضّل أن يكون لي قلب».

«ولِمَ؟»، سأل الفزاعة.

«سأخبرك القصة وتفهم عندئذ».

فحكى لهم الحطاب رجل الصفيح القصة الآتية أثناء سيرهم في الغابة:

«وُلدت ابنًا لحطاب كان يقطع أشجار الغابة ويبيع الحطب ليكسب عيشه. وحين كبرت صرت حطابًا أيضًا، واعتنيت بأمي العجوز بعد موت أبي طوال حياتها. ثم قررت أن أتزوج بدلًا من العيش وحيدًا، فلا أشعر بالوحدة.

وقعت بكل جوارحي في غرام فتاة من المنشكن فائقة الحسن. وقد وعدتني أن تتزوجني ما إن أستطيع كسب مال كافٍ لبناء بيت أفضل لها، فانطلقت للعمل بجد أكثر من ذي قبل. لكن الفتاة كانت تعيش مع عجوز لم تردها أن تتزوج أحدًا، لأنها كانت شديدة الكسل وتمنت أن تظل الفتاة معها وتقوم بالأعمال المنزلية والطبخ. ذهبت العجوز إلى ساحرة الشرق الشريرة، ووعدت بمنحها شاتين وبقرة إن منعت هذا الزواج. وعندئذ ألقت الساحرة الشريرة السحر على فأسي. وحين كنت أعمل جاهدًا في قطع الحطب ذات يوم، لأنني كنت متلهفًا للحصول على البيت الجديد وزوجتي بأسرع ما أستطيع، انزلقت الفأس وقطعت ساقي اليسرى.

بدا هذا حدثًا سيئًا في بادئ الأمر، لأنني أعلم أن رجلًا بساق واحدة لا يمكنه العمل حطابًا. لذا ذهبت إلى حداد وطلبت منه أن يصنع لي ساقًا جديدة من الصفيح. ناسبتني الساق جيدًا ما إن اعتدتها، لكن فعلي أغضب ساحرة الشرق الشريرة لأنها وعدت العجوز أنني

لن أتزوج فتاة المنشكن الجميلة. وحين عدت أقطع الخشب ثانية، انزلقت فأسي وقطعت ساقي اليمنى. فذهبت إلى الحداد وصنع لي ساقًا ثانية من الصفيح. وبعد ذلك قطعت الفأس المسحورة ذراعيّ، واحدًا تلو الآخر، لكن لا شيء يحبطني، فقد استبدلتهما بآخرين من صفيح. ثم جعلت الساحرة الشريرة الفأس تنزلق وتقطع رأسي، وظننت في بادئ الأمر أن هذه هي النهاية. لكن صادف أن الحداد كان مارًا بالقرب وصنع لي رأسًا جديدًا من الصفيح.

ظننت أنني هزمت الساحرة الشريرة عندئذ، وعملت بجد أكبر من ذي قبل. لكنني لم أعرف مدى قسوة عدوتي. فقد فكرت بطريقة جديدة لقتل حبي لفتاة المنشكن الجميلة، فجعلت فأسي تنزلق مرة أخرى وتقطع جسدي إلى نصفين. ومرة أخرى هب الحداد لمساعدتي وصنع لي جسدًا من صفيح، مثبتًا ذراعي وساقي ورأسي الصفيحية بالمفاصل ليكون بوسعي الحركة بسلاسة. لكن يا حسرتاه! لم يعد لدي قلب، ففقدت حبي لفتاة المنشكن، ولم أكترث إن تزوجت بها أم لا. أظنها ما زالت تعيش مع العجوز، تنتظر مجيئي من أجلها.

تلألأ جسدي بلمعان شديد في ضوء الشمس حتى إنني شعرت بالزهو به، ولم يعد يهمني إن انزلقت فأسي لأنها لن تقطعني. كنت أواجه خطرًا واحدًا فقط، أن تصدأ مفاصلي، لكنني أحتفظ بعلبة الزيت في كوخي وأحرص على تزييت نفسي كلما احتجت لذلك. ومع ذلك جاء يوم نسيت فيه فعل ذلك، ولأنني علقت في عاصفة مطرية قبل أن أفكر بالخطر صدئت مفاصلي، وتُركت واقفًا في الغابة

حتى جئتم وساعدتموني. عشت أمرًا رهيبًا، غير أني كان لدي متسع من الوقت في السنة التي قضيتها واقفًا هناك للتفكير بأن أعظم خسارة عرفتها كانت خسارة قلبي. كنت أسعد رجل على ظهر الأرض حين كنت مغرمًا، ولكن لا يمكن لامرئ أن يحب من لا قلب له. لذا عزمت على سؤال أوز أن يمنحني قلبًا. فإن فعل سأعود إلى فتاة المنشكن وأتزوجها».

كانت دوروثي والفزاعة يصغيان إلى قصة الحطاب رجل الصفيح باهتمام عظيم، وفهما لمَ كان يتلهف للحصول على قلب جديد.

قال الفزاعة: «الأمر سيان. سأطلب عقلًا بدلًا من القلب، لأن الأحمق ليس بوسعه معرفة ما يفعله بالقلب إن كان له واحدًا».

أجاب الحطاب رجل الصفيح: «سأطلب القلب، لأن العقل لا يجعل من المرء سعيدًا والسعادة أجمل ما في الكون».

لم تقل دوروثي شيئًا، لأنها كانت في حيرة لتعرف أي من صديقيها على صواب، وقالت إنها لو عادت إلى كنساس والخالة إم فلم يكن ليهمها كثيرًا إن لم يكن للحطاب عقل أو للفزاعة قلب، أو إن حصل كل منهما على مراده.

وما زاد قلقها أن الخبز كان على وشك النفاد، وأن وجبة أخرى لها ولتوتو ستفرغ السلة. صحيح أن الحطاب والفزاعة لم يأكلا شيئًا، لكنهما ليست من صفيح ولا من قش، ولن تبقى على قيد الحياة ما لم تأكل.

الفصل السادس
الأسد الجبان

كانت دوروثي ورفاقها يمشون طوال هذا الوقت في الغابة الكثيفة. وكان الطريق لم يزل مرصوفًا بالحجارة الصفراء، غير أن الأغصان الجافة والأوراق المتساقطة من الأشجار غطتها فلم يكن السير سهلًا البتة.

كان في هذا الجزء من الغابة طيور قليلة، لأن الطيور تحب البلاد المفتوحة التي يكون فيها ضوء النهار وفيرًا، لكن بين الفينة والأخرى كانت تنطلق زمجرة قوية من بعض الحيوانات المفترسة المختبئة بين الأشجار. جعلت هذه الأصوات قلب الفتاة الصغيرة يدق أسرع، لأنها لم تعرف ما الذي أطلقها. لكن توتو عرف، ومشى ملاصقًا لدوروثي ولم ينبح بدوره.

سألت الطفلة الحطاب رجل الصفيح: «كم نحتاج من الوقت بعد قبل أن نبلغ نهاية الغابة؟».

فأجاب: «لست أدري، لأنني لم يسبق لي الذهاب إلى مدينة الزمرد. لكن أبي ذهب إليها مرة حين كنت صبيًا، وقال إنها رحلة

طويلة في الريف الخطر، رغم أن الريف جميل بالقرب من المدينة التي يعيش فيها أوز. لكني لست خائفًا ما دامت علبة الزيت معي، ولا شيء يمكن أن يصيب الفزاعة بمكروه، وأنت تحملين على جبينك علامة قبلة الساحرة الطيبة، وهذا سيحميك من الأذى».

«وتوتو!»، قالت الفتاة بقلق، «ما الذي يحميه؟».

«علينا أن نحميه بأنفسنا إن كان في خطر»، أجاب الحطاب رجل الصفيح.

ما إن أنهى كلامه حتى إنطلق من الغابة زئير رهيب، ثم قفز أسد كبير إلى الطريق. وبضربة واحدة من كفه أرسل الفزاعة وهو يدور ويدور حتى طرف الطريق، ثم هجم على الحطاب رجل الصفيح بمخالبه الحادة. لكنه دهش حين رأى أنه لم يترك أثرًا على الصفيح، رغم أن الحطاب سقط أرضًا وظل ساكنًا في مكانه.

ركض توتو الصغير، الذي كان لديه عدو يواجهه الآن، ونبح على الأسد، وفتح السبع الكبير فمه ليعض الكلب، عندها اندفعت دوروثي، التي خافت أن يقتل توتو غافلة عن الخطر، وصفعت الأسد على أنفه بأقوى ما استطاعت، وهي تصيح:

«كيف تجرؤ على عض توتو! عليك أن تخجل من نفسك، كيف يعض سبع كبير مثلك كلبًا صغيرًا مسكينًا!».

«لم أعضه»، قال الأسد وهو يفرك أنفه بكفه في مكان صفعة دوروثي.

«كلا، لكنك حاولت ذلك»، أجابت بسرعة، «أنت لست سوى جبان».

«أعرف ذلك»، قال الأسد مدليًا رأسه من الخجل، «عرفت ذلك دومًا. لكن كيف يمكنني منع ذلك؟».

«لست أدري حقًا. نظرًا لأنك هاجمت رجلًا محشوًا مثل الفزاعة المسكين!».

«هل هو محشو؟»، سأل الأسد في دهشة، وهو يراها ترفع الفزاعة وتوقفه على قدميه، وهي تربت عليه ليستعيد شكله ثانية.

«إنه محشو طبعًا»، أجابت دوروثي التي لم تزل غاضبة.

«ولهذا طار بسهولة»، أجاب الأسد، «أدهشني أن أراه يدور هكذا. هل الآخر محشو أيضًا؟».

قالت دوروثي: «كلا. إنه مصنوع من الصفيح»، وساعدت الحطاب ليقف ثانية.

«ولهذا كاد يثلم مخالبي»، قال الأسد، «حين خدشت الصفيح سرت رعشة باردة في ظهري. ما الحيوان الصغير الذي تحنين عليه؟».

«إنه كلبي توتو»، أجابت دوروثي.

«أمصنوع من الصفيح هو أم محشو؟»، سأل الأسد.

«لا شيء منهما، إنه..إنه كلب من لحم ودم»، قالت الفتاة.

«أوه. إنه حيوان غريب، ويبدو صغيرًا على نحو لافت حين

أنظر إليه الآن. لن يخطر لأحد أن يعض حيوانًا صغيرًا كهذا إلا إن كان جبانًا مثلي»، واصل الأسد حديثه حزينًا.

«ما الذي يجعلك جبانًا؟»، سألت دوروثي وهي تنظر إلى السبع الكبير في عجب، لأنه كان كبيرًا بقدر حصان صغير.

أجاب الأسد: «هذا لغز. أظنني ولدت جبانًا. تتوقع كل الحيوانات الأخرى في الغابة مني أن أكون شجاعًا بطبيعة الحال، لأن الأسد في كل مكان يعد ملك السباع. عرفت أنني لو زأرت عاليًا سيشعر كل شيء حي بالذعر ويبتعد عن طريقي. كلما رأيت رجلًا انتابني خوف شديد، لكني أزأر في وجهه، فيجري هاربًا بأقصى سرعته. لو حاولت الفيلة والنمور والدببة مهاجمتي يومًا، فسأنجو بنفسي لأنني لست إلا جبان. لكن ما إن تسمعني أزأر حتى تحاول كلها الهرب مني، وأتركها أنا تذهب بالطبع».

«لكن هذا ليس صائبًا. لا ينبغي لملك السباع أن يكون جبانًا»، قال الفزاعة.

«أعلم ذلك»، أجاب الأسد وهو يمسح دمعة من عينه بطرف ذيله، «هذا همي الكبير، وهو ما يجعل حياتي تعسة للغاية. لكن كلما واجهت خطرًا أخذ قلبي يدق بسرعة».

«لعلك تعاني مرضًا قلبيًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«ربما»، قال الأسد.

فواصل الحطاب رجل الصفيح كلامه: «إن كنت كذلك،

فعليك أن تشعر بالسعادة لأن ذلك يعني أن لديك قلبًا. أما عني، فليس لي قلب، ولا يمكن أن تصيبني علة قلبية».

قال الأسد بجد: «ربما لو لم يكن لي قلب ما كنت سأصبح جبانًا».

«هل لك عقل؟»، سأل الفزاعة.

«أظن ذلك، غير أنني لم ألق نظرة لأتأكد»، أجاب الأسد.

«أنا ذاهب إلى أوز العظيم لأطلب منه منحي عقلًا، لأن رأسي محشوٌّ بالقش»، أجاب الفزاعة.

«وأنا ذاهب لأطلب منه أن يمنحني قلبًا»، قال الحطاب.

«وأنا ذاهبة لأطلب منه أن يعيدني أنا وتوتو إلى كنساس»، أضافت دوروثي.

«هل تظنون أوز قادرًا على منحي الشجاعة؟»، سأل الأسد الجبان.

«بالسهولة نفسها التي سيمنحني بها عقلًا»، قال الفزاعة.

«أو يمنحني قلبًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«أو يعيدني إلى كنساس»، قالت دوروثي.

«إذن أذهبَ معكم إن كنتم لا تمانعون»، قال الأسد، «لأن حياتي لا تطاق دون شيء من الشجاعة».

«أنت على الرحب والسعة»، قالت دوروثي، «لأنك ستساعدنا

في إبعاد الحيوانات المفترسة. يبدو لي أنها أكثر جبنًا منك إن جعلتك تثير خوفها بسهولة».

قال الأسد: «إنها كذلك حقًا، لكن ذلك لا يجعلني أشجع، وسأظل تعسًا ما دمت أعرف نفسي جبانًا».

وهكذا انطلقت الجماعة الصغيرة مرة أخرى في رحلتها، والأسد يسير قرب دوروثي بخطوات مهيبة. لم يعجب هذا الرفيق الجديد توتو في بادئ الأمر، لأنه لم يستطع نسيان أنه كان على وشك أن يسحق بين فكي الأسد الكبيرين، لكنه شعر بالراحة بعد مضي بعض الوقت، ثم صار الأسد وتوتو صديقين مقربين.

لم يفسد هدوء رحلتهم أي مغامرة أخرى ما بقي من ذلك النهار. في الحقيقة داس الحطاب رجل الصفيح على خنفساء كانت تدب على الطريق، وقتل الحشرة الصغيرة المسكينة. فأحزن هذا الحطاب رجل الصفيح حزنًا شديدًا، لأنه حرص دومًا ألا يؤذي أي مخلوق حي، وأخذ يذرف في مشيه دموعًا كثيرة ندمًا وأسىً. جرت هذه الدموع ببطء على وجهه وفوق مفصلي فكيه، فعلاها الصدأ. ولم يتمكن الحطاب رجل الصفيح من فتح فمه حين سألت دوروثي سؤالًا، لأن فكيه كانا صدئين بقوة. فانتابه الذعر الشديد لهذا وقام بحركات كثيرة لدوروثي لتداويه لكنها لم تفهم. كان الأسد يشعر بالحيرة أيضًا ولم يعرف المشكلة. لكن الفزاعة أخرج علبة الزيت من سلة دوروثي وزيّت فكي الحطاب، وتمكن بعد بضع دقائق من الكلام جيدًا كما كان قبلًا.

«هذا سيلقنني درسًا بأن أنظر إلى موطئ قدمي. لأنني سأبكي ثانية إن قتلت خنفساء أو حشرة أخرى، والبكاء يجعل فكي يصدأ فأعجز عن الكلام»، قال.

وسار بعد ذلك وعيناه على الدرب، وحين رأى نملة صغيرة تكد في مشيها، تخطاها حتى لا يؤذيها. عرف الحطاب رجل الصفيح أنه لا يملك قلبًا، لذا حرص شديد الحرص على ألا يكون قاسيًا أو فظًا مع أي شيء.

قال: «أنتم أصحاب القلوب لديكم ما يرشدكم، فلا ترتكبون أخطاء. لكني ليس لي قلب، لذا علي أن أكون شديد الحذر، ولكن إن منحني أوز قلبًا فلن أهتم بذلك كثيرًا طبعًا».

الفصل السابع
الرحلة إلى أوز العظيم

اضطروا تلك الليلة إلى المبيت خارجًا تحت شجرة كبيرة في الغابة، فلم يكن بالقرب أي بيت. كانت الشجرة حجابًا كثيفًا جيدًا يقيهم الطل، وقطع الحطاب رجل الصفيح كومة كبيرة من الحطب بفأسه، وأشعلت دوروثي نارًا رائعة منحتها الدفء وخففت شعورها بالوحدة. وأكلت هي وتوتو آخر قطعة من الخبز، ولم تدرِ ما الذي ستتناوله على الإفطار.

قال الأسد: «إن شئت، ذهبت إلى الغابة واصطدت لك غزالًا. يمكنك شيه بالنار، إذ يبدو ذوقك مميزًا لأنك تفضلين الطعام المطهو، وستحظين عندئذ بإفطار شهي للغاية».

«لا تفعل! لا تفعل أرجوك»، توسل الحطاب رجل الصفيح، «فلا بد أنني سأبكي إن قتلت غزالًا مسكينًا، وحينئذ سيصدأ فكي مرة أخرى».

لكن الأسد مضى في طريقه إلى الغابة وعثر على عشائه، ولم يعرف أحد ما كان، لأنه لم يتحدث عنه. ووجد الفزاعة شجرة عامرة

بالجوز فملأ بها سلة دوروثي، حتى لا تشعر بالجوع لوقت طويل. فرأت هذا لطفًا وحسن تدبير من الفزاعة، لكنها ضحكت بحرارة على الطريقة الغريبة التي جمع بها الكائن المسكين ذلك الجوز. فقد كانت يداه المحشوتان خرقاوان جدًا وكانت حبات الجوز صغيرة الحجم، فأوقع منها بقدر ما وضع في السلة. لكن الفزاعة لم يهتم بالوقت الذي استغرقه لملء السلة، لأن هذا أبقاه بعيدًا عن النار، إذ خشي أن يطير شرر إلى قشه فيحرقه. لذا ظل بعيدًا مسافة جيدة من اللهب، واقترب ليغطي دوروثي بالأوراق الجافة فقط حين رقدت لتنام. ومنحتها الأوراق الدفء والهدوء فغطت في نوم هانئ حتى الصباح.

وحين طلع الصباح غسلت الفتاة وجهها في غدير صغير رقراق ثم انطلقوا بعد ذلك جميعًا ميممين شطر مدينة الزمرد.

كان هذا نهارًا عامرًا بالأحداث للمسافرين، فلم تمر ساعة على مشيهم حتى رأوا أمامهم خندقًا كبيرًا يقطع الطريق ويقسم الغابة على مد النظر في كلا الجانبين. كان خندقًا واسعًا جدًا، وحين زحفوا إلى حافته ونظروا إليه رأوا أنه كان عميقًا أيضًا، وفي أسفله الكثير من الصخور الكبيرة المدببة. كانت جوانبه شديدة الانحدار ولم يستطع أي منهم نزولها، وظنوا لوهلة أن رحلتهم قد انتهت.

«ماذا نفعل؟»، سألت دوروثي بيأس.

«ليس لدي أدنى فكرة»، قال الحطاب رجل الصفيح، وهز الأسد لبدته الشعثاء وأخذ يفكر. لكن الفزاعة قال:

«لا يمكننا الطيران طبعًا، ولا يمكننا النزول إلى هذا الخندق العظيم أيضًا. وهكذا ما دمنا لا نستطيع الوثب فوقه، علينا إذًا ان نتوقف حيث نحن».

«أظن أن بوسعي الوثب فوقه»، قال الأسد الجبان بعد أن قاس المسافة في ذهنه بعناية.

قال الفزاعة: «إذًا سنكون بخير، لأن بوسعك حملنا جميعًا على ظهرك، واحدًا في كل مرة».

«حسن، سنجرب ذلك»، قال الأسد، «من سيذهب أولًا؟».

«سأذهب أنا»، قال الفزاعة، «لأنك إن وجدت أنك تعجز عن القفز فوق الوادي ستقتل دوروثي، أو سينبعج الحطاب رجل الصفيح على الصخور المدببة في الأسفل. لكن إن كنت أنا على ظهرك فلن يكون الأمر ذا بال، لأن السقطة لن تصيبني بأذى البتة».

«أنا نفسي أشعر بخوف شديد من السقوط»، قال الأسد الجبان، «لكني أفترض أن لا خيار لنا سوى المحاولة. فاصعد على ظهري ولنجرب».

جلس الفزاعة على ظهر الأسد، ومشى السبع الكبير نحو حافة الوادي وربض.

«لم لا تجري وتقفز؟»، قال الفزاعة.

«لأن هذه ليست طريقتنا نحن الأسود في القيام بالأمور»، أجاب. ثم انطلق في الهواء بعد أن وثب وثبة عالية، وحط على

الجانب الآخر بأمان. سروا جميعًا لرؤيته يفعل ذلك بسهولة فائقة. وبعد أن نزل الفزاعة عن ظهره، قفز من فوق الخندق ثانية. رأت دوروثي أن تكون التالية، فحملت توتو بين ذراعيها وصعدت إلى ظهر الأسد، قابضة بإحكام على لبدته بيد واحدة. بدت اللحظة التالية كأنها كانت تطير في الهواء، ثم وقبل أن يتسنى لها الوقت للتفكير بالأمر، كانت بأمان على الجانب الآخر. عاد الأسد للمرة الثالثة وجلب الحطاب رجل الصفيح، ثم جلسوا جميعًا لبضع دقائق ليمنحوا الفرصة للسبع بأن يأخذ قسطًا من الراحة، إذ جعلت وثباته العالية نفسه قصيرًا، ولهث مثل كلب كبير كان يركض لوقت طويل.

وجدوا أن الغابة كثيفة جدًا على هذا الجانب، وبدت معتمة وموحشة. وانطلقوا بعد أن ارتاح الأسد على درب الحجارة الصفراء، يتساءلون بهدوء وكل غارق في تفكيره إن كانوا سيبلغون نهاية الغابة ويرون ضوء النهار الساطع ثانية. ومما زاد في ضيقهم أنهم سمعوا أصواتًا غريبة في أعماق الغابة، وهمس لهم الأسد أن الكاليدا يعيشون في هذا الجزء من الغابة.

«ومن الكاليدا؟»، سألت الفتاة.

«إنها وحوش مفترسة، لها أجساد الدببة ورؤوس النمور»، أجاب الأسد، «ولها مخالب طويلة وحادة للغاية حتى إن بوسعها شقي إلى نصفين بالسهولة التي يمكنني بها قتل توتو. أنا خائف للغاية من الكاليدا».

«لا أستغرب ذلك منك»، أجابت الفتاة، «لا بد أنها سباع مخيفة».

كان الأسد على وشك أن يرد حين وصلوا فجأة إلى واد آخر يقطع الطريق، لكن هذا كان شديد العمق والاتساع فعرف الأسد في الحال أنه لن يستطيع الوثب فوقه.

فجلسوا ليفكروا فيما ينبغي لهم فعله، قال الفزاعة بعد أن فكر مليًا:

«هذه شجرة كبيرة تنتصب قرب الخندق. إن استطاع الحطاب رجل الصفيح قطعها فتسقط على الجانب الآخر، ويمكننا عندئذ عبوره بسهولة».

«هذه فكرة من طراز رفيع»، قال الأسد، «إن المرء ليشك في أن لديك عقلًا في رأسك عوضًا عن القش».

شرع الحطاب في العمل حالًا، وكانت فأسه حادة فقطعت الشجرة سريعًا. ثم وضع الأسد ساقيه الأماميتين القويتين على الشجرة ودفعها بكل قوته فمالت الشجرة ببطء وسقطت محدثة دويًا في الوادي وقد وقعت أغصانها العليا على الطرف الآخر.

بدؤوا يعبرون هذا الجسر الغريب فسمعوا هديرًا حادًا جعلهم يرفعون أنظارهم، وذعروا لرؤية وحشين كبيرين لهما جسد دب ورأس نمر يركضان نحوهم.

«إنهم الكاليدا»، قال الأسد الجبان وقد أخذ يرتعد خوفًا.

«أسرعوا! دعونا نعبر الجسر»، قال الفزاعة.

فعبرته دوروثي أولًا وهي تحمل توتو بين ذراعيها، وتبعها الحطاب رجل الصفيح، ثم كان الفزاعة التالي. أما الأسد، الذي كان خائفًا بلا شك، فقد استدار لمواجهة الكاليدا، وأطلق عندئذ زئيرًا عاليًا ورهيبًا جعل دوروثي تصرخ خوفًا والفزاعة يسقط للخلف، في حين وقف الوحشان القويان قليلًا ينظران إليه في ذهول.

ولكن بعد أن وجدا أنهما أكبر من الأسد، وأنهما اثنان في مقابل واحد، تقدم وحشا الكاليدا مسرعين، وعبر الأسد الشجرة واستدار ليرى ما سيفعلان تاليًا. ودون أن يتوقفا للحظة، بدأ الوحشان يعبران الشجرة أيضًا فقال الأسد لدوروثي:

«لقد انتهى أمرنا، لأنهما سيمزقاننا إربًا بمخالبهما الحادة حتمًا. لكن قفي بالقرب مني وسأقاتلهما ما دمت على قيد الحياة».

«انتظر لحظة»، قال الفزاعة. فقد كان يفكر في أفضل ما يمكن فعله، وطلب من الحطاب أن يقطع نهاية الشجرة التي وقعت على جانبهم من الوادي. فأخذ الحطاب رجل الصفيح يعمل فأسه حالًا، وحين أوشك وحشا الكاليدا على الوصول، سقطت الشجرة في الوادي محدثة ارتطامًا، وهي تحمل الوحشين القبيحين المزمجرين معها، وقد تمزق الاثنان إربًا على الصخور الحادة في الأسفل.

قال الأسد الجبان مطلقًا زفرة راحة طويلة: «حسن، أرى أننا سنحيا قليلًا بعد، وأنا سعيد لذلك، فألا يكون المرء حيًا لهو أمر مزعج للغاية. لقد أخافني هذان المخلوقان كثيرًا حتى إن قلبي ما زال يدق».

«آه، أتمنى لو أن لي قلبًا يدق»، قال الحطاب رجل الصفيح بحزن.

جعلت هذه المغامرة المسافرين أكثر رغبة من ذي قبل في الخروج من الغابة، فساروا مسرعين حتى تعبت دوروثي واضطرت أن تمتطي ظهر الأسد. أخذت الأشجار تغدو أقل وأبعد كلما تقدموا وهو ما أسعدهم. ومروا بعد الظهيرة بنهر واسع يجري سريعًا أمامهم. وعلى الجانب الآخر من النهر كان بوسعهم أن يروا طريق الحجارة الصفراء يتخلل أرضًا جميلة فيها مروج خضراء مرقطة بالزهور المشرقة وقد حفت الطريقَ أشجار تتدلى منها ثمار شهية. فسروا للغاية بمرأى هذه الأرض الجميلة أمامهم.

«كيف سنعبر النهر؟»، سألت دوروثي.

«هذا سهل جدًا. ليصنع لنا الحطاب رجل الصفيح طوفًا، فنستطيع العبور حتى الجانب الآخر».

أخذ الحطاب فأسه وأخذ يقطع أشجارًا قصيرة لصنع الطوف، وأثناء انهماكه بهذا، عثر الفزاعة على ضفة النهر على شجرة ملأى بالثمار الناضجة. وأسعد ذلك دوروثي التي لم تتناول شيئًا سوى حبات الجوز طوال النهار، فتناولت وجبة شهية من الثمار الناضجة.

لكن صنع الطوف يستغرق وقتًا، حتى إن كان المرء كادحًا لا يكل مثل الحطاب رجل الصفيح. ولم يكن العمل قد انتهى بعد، حين حل الظلام. فعثروا على بقعة مريحة تحت الشجر ناموا فيها جيدًا حتى الصباح، وحلمت دوروثي بمدينة الزمرد، وبالساحر أوز الطيب الذي سيعيدها قريبًا إلى ديارها.

الفصل الثامن
حقل الخشخاش المميت

استيقظت جماعة مسافرينا الصغيرة الصباح التالي منتعشة ومفعمة بالأمل، وتناولت دوروثي طعام إفطار مثل الأميرات من البرقوق والخوخ قطفت من الأشجار على جانب النهر. وكانت خلفهم الغابة المظلمة التي عبروها بأمان، رغم أنهم عانوا الكثير من المتاعب. غير أن أمامهم بلادًا جميلة مشرقة توحي لهم بمدينة الزمرد.

لا شك أن النهر الواسع قد منعهم عن هذه الأرض الجميلة، لكن صنع الطوف أوشك على الانتهاء، وصاروا جاهزين للانطلاق بعد أن قطع الحطاب رجل الصفيح بضعة ألواح أخر وثبتها معًا بأوتاد خشبية. جلست دوروثي في وسط الطوف حاملة توتو بين ذراعيها. حين وطئ الأسد الجبان الطوف مال الطوف كثيرًا، لأن الأسد كان كبيرًا وثقيلًا، لكن الفزاعة والحطاب رجل الصفيح وقفا على الطرف الآخر لتثبيته، وكانا يحملان عصوين كبيرين في أيديهما لدفع الطوف في الماء.

كانوا يبلون حسنًا في بادئ الأمر، ولكن ما إن وصلوا وسط

النهر حتى جرف التيار السريع الطوف أسفل النهر أبعد فأبعد عن طريق الحجارة الصفراء. وغدا الماء عميقًا جدًا حتى إن العصوين لم يمسا قاعه.

قال الحطاب رجل الصفيح: «هذا سيء، لأننا إن لم نستطع بلوغ اليابسة فسيحملنا النهر إلى بلاد ساحرة الغرب الشريرة، وستسحرنا وتجعلنا عبيدًا لها».

«وعندها لن أحصل على عقل»، قال الفزاعة.

«ولن أنال الشجاعة»، قال الأسد الجبان.

«ولن أحصل على قلب»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«ولن أعود إلى كنساس»، قالت دوروثي.

«علينا أن نصل مدينة الزمرد حتمًا إن استطعنا»، واصل الفزاعة حديثه ودفع بعصاه جاهدًا حتى إنه علق بالوحل في قاع النهر. وقبل أن يستطيع إخراجه ثانية أو يتركه، انجرف الطوف بعيدًا وظل الفزاعة المسكين متشبثًا بالعصا وسط النهر.

«إلى اللقاء!»، هتف لهم وكانوا يشعرون بأسى بالغ لتركه، بل إن الحطاب رجل الصفيح أخذ يبكي، لكنه تذكر لحسن الحظ أنه سيصدأ فجفف دمعه بمئزر دوروثي.

كان ما حدث للفزاعة أمرًا فظيعًا دون شك.

«أنا الآن بحال أسوأ مما كنت عليه حين التقيت بدوروثي أول مرة»، قال في نفسه، «لأني حينها كنت معلقًا على شاخص في حقل

ذرة، حيث صدقت أنني أخيف الغربان على أية حال، لكن ليس لفزاعة عالق على عمود وسط النهر أي جدوى حتمًا. أخشى أنني لن أحصل أبدًا على عقل في نهاية الأمر!».

سبح الطوف أسفل النهر وترك الفزاعة وحيدًا. ثم قال الأسد:

«لا بد أن نفعل شيئًا لإنقاذ أنفسنا. أظن أن بوسعي السباحة إلى الشاطئ وجذب الطوف خلفي، إن أمسكتم بطرف ذيلي».

فقفز إلى الماء وأمسك الحطاب رجل الصفيح بذيله، وأخذ الأسد يسبح بكل قوته نحو الشاطئ. كان عملًا شاقًا رغم أنه كان ضخم البنية، لكنهم خرجوا من التيار عمومًا وأخذت دوروثي عندئذ عصا الحطاب رجل الصفيح الطويل وساعدت في دفع الطوف نحو الشاطئ.

كانوا كلهم متعبين حين وصلوا الشاطئ أخيرًا ووطئوا على العشب الأخضر الجميل، كما عرفوا أن التيار أخذهم بعيدًا عن طريق الحجارة الصفراء الذي يقود إلى مدينة الزمرد.

«ماذا نفعل الآن؟»، سأل الحطاب رجل الصفيح، حين كان الأسد يستلقي تحت الشمس ليجفف نفسه.

«علينا العودة إلى الطريق، بأي شكل كان»، قالت دوروثي.

«الخطة الفضلى هي السير على طول ضفة النهر حتى نصل الطريق ثانية»، قال الأسد.

وبعد أن نالوا قسطًا من الراحة، حملت دوروثي سلتها وساروا

على الضفة المعشبة، عائدين إلى الطريق الذي أبعدهم عنه النهر. كانت بلادًا جميلة فيها الكثير مما يسعدهم من الأزهار وأشجار الفاكهة وضوء الشمس، ولولا أنهم شعروا بالأسى على الفزاعة المسكين، لكانوا في غاية السعادة.

مشوا بأسرع ما يمكن، وقد توقفت دوروثي مرة لتقطف زهرة جميلة، وبعد شيء من الوقت هتف الحطاب رجل الصفيح:

«انظروا!».

فنظروا كلهم إلى النهر ورأوا الفزاعة جاثمًا على العصا وسط الماء، وهو يبدو حزينًا ووحيدًا جدًا.

«ماذا بوسعنا أن نفعل لإنقاذه؟»، سألت دوروثي.

هز كل من الأسد وحطاب رأسيهما، لأنهما لا يعلمان. فجلسوا على الضفة وحدقوا بالفزاعة حزينين، حتى حلق قربهم لقلق نزل ليستريح عند حافة الماء بعد أن رآهم.

«من أنتم وإلى أين تذهبون؟»، سأل اللقلق.

أجابت الفتاة: «أنا دوروثي، وهذان صديقاي الأسد الجبان والحطاب رجل الصفيح، ونحن ذاهبون إلى مدينة الزمرد».

«هذا ليس الطريق المؤدي إليه»، قال اللقلق وهو يلوي عنقه الطويل ويمعن النظر في الجماعة الغريبة.

أجابت دوروثي: «أعلم ذلك. لكننا فقدنا الفزاعة، وكنا نتساءل كيف نعيده مرة أخرى».

«أين هو؟»، سأل اللقلق.

«في النهر هناك»، ردت الفتاة.

«إن لم يكن كبيرًا جدًا سأحمله من أجلكم»، قال اللقلق.

قالت دوروثي بلهفة: «إنه ليس ثقيلًا البتة، لأنه محشو بالقش. وإن أعدته إلينا فسنكون شاكرين لك إلى الأبد».

«حسن سأحاول»، قال اللقلق، «ولكن إن وجدته ثقيلًا حمله فسألقي به في النهر ثانية».

فحلق الطائر الكبير في الهواء فوق الماء حتى وصل إلى الفزاعة الذي كان جاثمًا فوق عصاه. ثم جذب اللقلق ببراثنه الكبيرة الفزاعة من ذراعه وحمله في الهواء وحلق عائدًا إلى الضفة، حيث كانت دوروثي والحطاب رجل الصفيح والأسد وتوتو يجلسون.

حين وجد الفزاعة نفسه بين أصحابه ثانية، كان سعيدًا للغاية حتى إنه عانقهم كلهم، حتى الأسد وتوتو، وأخذ يغني أثناء سيرهم «توليديرديو!»، مع كل خطوة، فقد كان شديد المرح.

«كنت أخشى أن أظل في النهر إلى الأبد»، قال، «لكن اللقلق الطيب أنقذني، وإن حصلت على عقل يومًا ما، فسأعثر على اللقلق وأسدي له معروفا بدوري».

«لا بأس»، قال اللقلق الذي يطير قربهم، «أحب دومًا مساعدة من يقع في متاعب. لكن علي الذهاب الآن لأن صغاري ينتظرونني في العش. أرجو أن تجدوا مدينة الزمرد وأن يساعدكم أوز».

«شكرًا لك»، ردت دوروثي، ثم طار اللقلق الطيب في الهواء وسرعان ما غاب عن أنظارهم.

أخذوا يمشون وهم يستمعون إلى غناء الطيور ذات الألوان المشرقة وينظرون إلى الأزهار الجميلة، التي ازدادت كثافتها، حتى إنها غطت الأرض مثل سجادة. كان بينها براعم صفراء وزرقاء وبيضاء وأرجوانية كبيرة، قرب كومات كبيرة من زهور الخشخاش القرمزي، التي كانت رائعة في لونها حتى إنها شوشت نظر دوروثي.

«أليست جميلة؟»، سألت الفتاة وهي تستنشق العطر اللاذع للزهور.

أجاب الفزاعة: «أظن ذلك. من المحتمل أن أحبها أكثر إن حصلت على عقل».

وأضاف الحطاب: «وسأحبها لو أن لي قلبًا فقط».

«أحببت الأزهار دومًا»، قال الأسد، «فهي تبدو عاجزة وضعيفة. لكن ليس في الغابة ما هو فاقع بقدر هذه».

وأخذوا يقتربون من المزيد من زهور الخشخاش القرمزية الكبيرة، وصارت بقية الأزهار أقل فأقل، وسرعان ما وجدوا أنفسهم وسط مرج كبير من الخشخاش. من المعروف أنه إن وجد الكثير من هذه الأزهار معًا فإن رائحتها تكون قوية جدًا تجعل كل من يستنشقها يغط في النوم، وإن لم يبعد النائم عن رائحة الأزهار فسينام إلى الأبد. لكن دوروثي لم تعرف ذلك، ولا استطاعت

الابتعاد عن الزهور الحمراء الفاقعة التي كانت في كل مكان حولها، فغدت عيناها ثقيلتين وشعرت بحاجة إلى أن تجلس لترتاح وتنام.

لكن الحطاب رجل الصفيح لم يسمح لها بذلك.

«علينا أن نسرع ونعود إلى درب الحجارة الصفراء قبل حلول الظلام»، قال ووافقه الفزاعة. فظلوا يمشون حتى لم تعد دوروثي تستطيع الوقوف أكثر. فقد كانت عيناها تغمضان رغمًا عنها ونسيت أين هي وسقطت بين أزهار الخشخاش وقد غطت في النوم.

«ماذا نفعل؟»، سأل الحطاب رجل الصفيح.

«ستموت إن تركناها هنا»، قال الأسد، «فرائحة الأزهار تقتلنا جميعًا، إنني أكاد لا أستطيع إبقاء عيني مفتوحتين وها قد نام الكلب».

وكان محقًا، فقد نام توتو قرب صاحبته الصغيرة. لكن الفزاعة والحطاب رجل الصفيح، لأنهما ليسا مخلوقين من لحم ودم، لم تزعجهما رائحة الزهور.

«اجر بسرعة»، قال الفزاعة للأسد، «واخرج من فراش الزهور القاتل هذا بأسرع ما تستطيع. سنحضر الفتاة الصغيرة معنا، ولكن إن غططت في النوم فلا يمكننا حملك لأنك كبير جدًا».

فنهض الأسد ووثب للأمام بأسرع ما استطاع، واختفى عن أنظارهم في لحظة.

«لنصنع بأيدينا كرسيًا ونحملها»، قال الفزاعة. فحملا توتو

ووضعاه في حجر دوروثي، ثم صنعا كرسيًا بأيديهما لتجلس عليه ومن ذراعيهما ذراعين للكرسي وحملا الفتاة النائمة بينهما وسارا بين الأزهار.

وتابعا السير، وبدا أن السجادة الكبيرة من الزهور القاتلة التي أحاطت بهم لن تنتهي أبدًا. فتبعا منعطف النهر ووجدا أخيرًا صديقهم الأسد مستلقيًا وقد نام بين الخشخاش. كانت الأزهار قوية جدًا على الحيوان الضخم واستسلم أخيرًا ووقع على مسافة قصيرة من نهاية حقل الخشخاش، حيث انتشر العشب الجميل في حقول خضراء جميلة أمامهم.

«لا يمكننا فعل شيء من أجله»، قال الحطاب رجل الصفيح بحزن، «لأنه ثقيل جدًا ولا يمكننا رفعه. علينا أن نتركه هنا ينام إلى الأبد، وربما حلم أنه وجد الشجاعة أخيرًا».

«أنا آسف»، قال الفزاعة، «لقد كان الأسد رفيقًا طيبًا قياسًا إلى امرئ شديد الجبن. لكن لنواصل المسير».

حملا الفتاة النائمة إلى بقعة جميلة قرب النهر، بعيدًا كفاية عن حقل الخشخاش لئلا تستنشق مزيدًا من سم الزهور، واستلقيا هناك على العشب الطري وانتظرا أن يوقظها النسيم النقي.

الفصل التاسع

ملكة فئران الحقل

«لا يمكن أن نكون بعيدين عن طريق الحجارة الصفراء الآن»، قال الفزاعة وقد وقف بجانب الفتاة، «لأننا مشينا بقدر ما أبعدنا النهر تقريبًا».

أوشك الحطاب رجل الصفيح على الرد حين سمع هديرًا خفيضًا، فأدار رأسه (الذي كان يعمل جيدًا بمفاصله) ورأى حيوانًا غريبًا قادمًا يثب فوق العشب نحوهم. لقد كان ذلك في حقيقة الأمر قطًا بريًا أصفر كبيرًا، وظن الحطاب أنه يطارد شيئًا ما، لأن أذنيه كانتا قريبتين من رأسه وكان فمه مفتوحًا واسعًا مظهرًا صفين من الأسنان القبيحة، كما لمعت عيناه الحمراوان مثل كرتين من لهب. وحين اقترب رأى الحطاب رجل الصفيح فأرة حقل رمادية صغيرة تجري أمام القط، ورغم أنه بلا قلب، فقد عرف أن من المعيب على القط البري أن يحاول قتل مخلوق جميل مسالم كهذا.

رفع الحطاب فأسه، وحين اقترب منه القط البري ضربه به ضربة

عاجلة فصلت رأس الحيوان عن جسده، فتدحرج قرب قدميه في قطعتين.

توقفت فأرة الحقل قليلًا، وقد تحررت الآن من عدوها، وتسلقت الحطاب وقال بصوت صرير صغير:

«أوه، شكرًا لك! شكرًا جزيلًا لك لإنقاذ حياتي».

«أتوسل إليك ألا تتحدثي عن ذلك»، أجاب الحطاب، «ليس لي قلب، كما تعرفين، لذا فإني أحرص على مساعدة من يحتاج صديقًا، حتى إن لم يكن سوى فأرة».

«ليس سوى فأرة!»، صاح الحيوان الصغير بازدراء، «أنا الملكة، ملكة فئران الحقل كلها!».

«أوه، حقًا»، قال الحطاب وهو ينحني.

«وذلك يعني أنك قمت بأمر عظيم، وشجاع أيضًا، بإنقاذك حياتي»، أضافت الملكة.

ظهر العديد من الفئران في تلك اللحظة تركض بأسرع ما استطاعت سيقانها الصغيرة، وحين رأت ملكتها قالت في دهشة:

«أوه يا صاحبة الجلالة، ظننا أنك قتلت! كيف استطعت الهرب من القط البري الكبير؟»، وانحنت كلها كثيرًا للملكة الصغيرة حتى لكأنها وقفت كلها على رؤوسها.

فأجابت: «رجل الصفيح الغريب هذا قتل القط البري وأنقذ حياتي. لذا فإن عليكم جميعًا خدمته، وتلبية أصغر أمنياته».

«سنفعل!»، هتفت الفئران كلها في أصوات حادة. ثم جرت في كل الأنحاء لأن توتو قد استيقظ من نومه، وحين رأى أنه محاط بكل هذه الفئران نبح نبحة واحدة من البهجة وقفز وسط الجماعة تمامًا. أحب توتو دومًا مطاردة الفئران أثناء عيشه في كنساس، ولم ير في ذلك بأسًا.

لكن الحطاب رجل الصفيح حمل الكلب بين ذراعيه وأمسكه بقوة وهو يقول للفئران: «عدن أدراجكن! عدن أدراجكن! لن يؤذيكن توتو».

عندها أخرجت ملكة الفئران رأسها من بين العشب وسألت بصوت خائف:

«هل أنت واثق أنه لن يعضنا؟».

«لن أسمح له بذلك، فلا تخافي»، قال الحطاب.

عادت الفئران واحدة تلو الأخرى، ولم ينبح توتو ثانية رغم أنه حاول التملص من ذراعي الحطاب، ولولا معرفته بأن الحطاب مصنوع من صفيح لعضه. ثم تحدثت واحدة من أكبر الفئران أخيرًا:

«هل ثمة ما نفعله لنرد لك إنقاذك حياة ملكتنا؟»، سألته.

«لا شيء على حد علمي»، أجاب الحطاب. لكن الفزاعة، الذي كان يحاول التفكير ولم يستطع لأن رأسه محشو بالقش، قال بسرعة:

«أوه، بلى. يمكنكن إنقاذ صديقنا الأسد الجبان الذي ينام في حقل الخشخاش».

فصاحت الملكة الصغيرة: «أسد؟! عجبًا، لا بد أنه سيأكلنا كلنا».

«أوه، كلا. هذا الأسد جبان»، رد الفزاعة.

«حقًا؟»، سألت الفأرة.

«إنه يقول هذا بنفسه»، أجاب الفزاعة، «ولن يؤذي أيًا من أصدقائنا. فإن ساعدتمونا في إنقاذه أعدكن أنه سيعاملكن بلطف».

قالت الملكة: «حسن جدًا. إننا نثق بك، ولكن ماذا نفعل؟».

«هل ثمة الكثير من الفئران التي تسميك ملكة وترغب في تلبية أوامرك؟».

«أوه أجل، الآلاف منها»، ردت الملكة.

«فأرسلي في طلبها لتحضر كلها بأسرع ما استطاعت، ولتحضر كل واحدة قطعة طويلة من الحبال».

استدارت الملكة نحو الفئران المحيطة بها وأخبرتها أن تذهب من فورها لتطلب شعبها كله. فانطلقت الفئران في كل اتجاه بأقصى سرعتها ما إن سمعت أوامرها.

«والآن»، قال الفزاعة للحطاب رجل الصفيح، «عليك الذهاب إلى تلك الأشجار على ضفة النهر وأن تصنع عربة لحمل الأسد».

فذهب الحطاب حالًا إلى الأشجار وأخذ يعمل، وسرعان ما صنع عربة من سوق الشجر، وقطع منها كل الأوراق والأغصان.

ثم ثبتها معًا بأوتاد خشبية وصنع العجلات الأربع من قطع قصيرة من جذوع الشجر. لقد نفذ عمله بسرعة وإتقان شديدين إذ كانت العربة جاهزة حين أخذت الفئران بالوفود.

جاءت الفئران من كل الجهات، وجاء منها الآلاف: فئران كبيرة وفئران صغيرة وفئران متوسطة الحجم، وقد حملت كل واحدة منها قطعة من الحبال في فمها. استيقظت دوروثي في تلك اللحظة من نومها الطويل وفتحت عينيها. انتابها العجب للغاية لرؤية نفسها مستلقية على العشب، وحولها آلاف الفئران تنظر إليها في وجل. لكن الفزاعة أخبرها بكل شيء، وقال وهو يستدير نحو الفأرة الصغيرة المبجلة:

«اسمحي لي أن أعرفك على صاحبة الجلالة، الملكة».

أومأت دوروثي برأسها بوقار، وانحنت الملكة التي صارت بعدها ودودة جدًا مع الفتاة الصغيرة.

أخذ الفزاعة والحطاب يربطان الفئران إلى العربة، مستخدمين الحبال التي جلبتها. كان أحد طرفي الحبل مربوطًا حول عنق كل فأرة، والطرف الآخر مربوط إلى العربة. وكانت العربة بطبيعة الحال تفوق حجم الفئران التي ستسحبها بآلاف المرات، ولكن حين ربطت الفئران كلها استطاعت سحبها بسهولة. كان بوسع الفزاعة والحطاب رجل الصفيح أن يجلسا في العربة أيضًا وتسحبهما جيادهما الغريبة بسهولة إلى المكان الذي يرقد فيه الأسد.

بعد قدر كبير من العمل الشاق، لأن الأسد كان ثقيلًا، استطاعا

رفعه إلى العربة. ثم أعطت الملكة بسرعة أوامرها لشعبها للانطلاق، لأنها خشيت أن تغط الفئران في النوم أيضًا إن هي ظلت في حقل الخشخاش طويلًا.

في بادئ الأمر استطاعت الفئران بالكاد، رغم عددها الكبير، تحريك العربة ذات الحمل الثقيل، لكن الفزاعة والحطاب دفعاها من الخلف أيضًا، وأبلوا حسنًا. وسرعان ما أخرجوا الأسد من حقل الخشخاش إلى الحقول الخضراء، حيث بوسعه أن يستنشق الهواء النقي العذب ثانية، عوضًا عن الشذى السام للزهور.

تقدمت دوروثي للقائهم وشكرت المخلوقات الصغيرة بحرارة على إنقاذها صديقها من الموت. فقد صارت مولعة جدًا بالأسد الكبير وسرت لنجاته.

ثم تحررت الفئران من العربة وجرت مبتعدة في العشب إلى منازلها، وكانت ملكة الفئران آخر من غادر.

«إن احتجتم إلينا مرة أخرى»، قالت، «اخرجوا إلى الحقول ونادوا، وسنسمعكم ونهب لعونكم. إلى اللقاء!».

«إلى اللقاء!»، أجابوا جميعًا وجرت الملكة بعيدًا، بينما أمسكت دوروثي بتوتو بقوة لئلا يجري خلفها ويخيفها.

ثم جلسوا بعد ذلك قرب الأسد إلى أن يستيقظ، وجلب الفزاعة لدوروثي بعضًا من الثمار من شجرة قريبة، فتناولتها على العشاء.

الفصل العاشر
حارس البوابة

مضى بعض الوقت قبل أن يستيقظ الأسد الجبان، لأنه رقد بين زهور الخشخاش لوقت طويل مستنشقًا شذاها القاتل، ولكن حين فتح عينيه ونزل من العربة كان مسرورًا للغاية لرؤية أنه لم يزل على قيد الحياة.

«جريت بأسرع ما استطعت»، قال وهو يعتدل ويتثاءب، «لكن الزهور كانت قوية جدًا علي، كيف أخرجتموني؟».

فأخبروه عندئذ عن فئران الحقل، وإنقاذها له من الموت. فضحك الأسد الجبان وقال: «كنت دومًا أرى نفسي كبيرًا ورهيبًا، ومع ذلك أوشكت أشياء صغيرة كالزهور على قتلي، وأنقذت حياتي حيوانات صغيرة كالفئران. يا لغرابة ذلك! لكن ما الذي سنفعله الآن يا رفاق؟».

«علينا أن نواصل السير حتى نعثر على طريق الحجارة الصفراء مرة أخرى»، قالت دوروثي، «ويكون بمقدورنا عندئذ أن نتابع حتى مدينة الزمرد».

وهكذا، بعد أن انتعش الأسد تمامًا واستعاد قوته ثانية، انطلقوا جميعًا في رحلتهم، مستمتعين بالسير على العشب الطري شديد النعومة، ولم يمض وقت طويل حتى وصلوا طريق الحجارة الصفراء وانعطفوا ثانية نحو مدينة الزمرد حيث يعيش أوز العظيم.

كان الطريق سهلًا ومرصوفًا والأرض من حوله جميلة، فابتهج المسافرون لأنهم خلفوا الغابة وراءهم، ومعها المخاطر العديدة التي واجهتهم في ظلالها المخيفة.

كان بوسعهم مرة أخرى رؤية أسوار بنيت على جانب الطريق، لكنها كانت مطلية باللون الأخضر، وحين وصلوا إلى بيت صغير تبين أن مزارعًا يعيش فيه، كان مطليًا باللون الأخضر أيضًا. لقد مروا بالكثير من هذه البيوت بعد الظهيرة، وخرج بعض الناس ونظروا إليهم كأنما يودون طرح أسئلة، غير أن أحدًا لم يقترب منهم أو يتحدث إليهم، بسبب الأسد الكبير الذي كانوا يشعرون بالخوف منه. كان الناس كلهم يرتدون ثيابًا لها لون أخضر الزمرد الجميل ويعتمرون قبعات مدببة مثل قبعات المنشكن.

قالت دوروثي: «لا بد أن هذه بلاد أوز، ونحن نقترب من مدينة الزمرد حتمًا».

«أجل»، أجاب الفزاعة، «فكل شيء أخضر هنا، بينما كان اللون الأزرق هو الأثير في بلاد المنشكن. غير أن أهلها لا يبدون ودودين بقدر المنشكن، وأخشى ألا نستطيع العثور على مكان نبيت فيه الليلة».

«أود تناول شيء إلى جانب الفاكهة، كما أنني واثقة أن توتو يتضور جوعًا. لنتوقف بالمنزل القادم ونتحدث إلى أصحابه»، قالت الفتاة.

وحين وصلوا إلى بيت مزرعة كبير، تقدمت دوروثي بجرأة نحو الباب وقرعته. فتحت امرأة الباب ووقفت بعيدًا لتنظر ثم قالت: «ماذا تريدين أيتها الطفلة، ولمَ يأتي هذا الأسد الكبير معك؟».

«نود قضاء الليلة معكم، إن سمحت لنا»، أجابت دوروثي، «الأسد صديقي وصاحبي، ولن يؤذيكم البتة».

«هل هو أليف؟»، سألت المرأة وقد فتحت الباب أكثر.

«أوه، أجل. وهو جبان كبير أيضًا، إنه يخاف منك أكثر من خوفك منه»، أجابت الفتاة.

«حسن»، قالت المرأة بعد التفكير مليًا واختلاس نظرة أخرى إلى الأسد، «إن كان الأمر كذلك فبوسعكم الدخول، وسأقدم لكم عشاء ومكانًا تبيتون فيه».

فدخلوا جميعًا البيت، الذي كان فيه -إلى جانب المرأة- طفلان ورجل. جرح الرجل ساقه وكان يستلقي على أريكة في الزاوية. انتابتهم دهشة شديدة لرؤية جماعة غريبة كهذه، وأثناء انهماك المرأة في إعداد المائدة سأل الرجل:

«إلى أين تذهبون جميعًا؟».

«إلى مدينة الزمرد»، قالت دوروثي، «لرؤية أوز العظيم».

«أوه، حقًا!»، قال الرجل متعجبًا، «هل أنتم واثقون أن أوز سيلتقيكم؟». «ولِمَ لا؟»، أجابت.

«عجبًا، يقال إنه لا يسمح لأحد بلقائه. لقد ذهبت إلى مدينة الزمرد مرات كثيرة، وهي مكان رائع وجميل، لكنني لم يسمح لي مرة بلقاء أوز العظيم، ولست أعرف أي امرئ حي التقاه».

«ألا يخرج مطلقًا؟»، سأل الفزاعة.

«مطلقًا. إنه يجلس يومًا بعد يوم في غرفة العرش الكبير في قصره، وحتى أولئك الذين ينتظرون لقاءه لا يرونه وجهًا لوجه».

«كيف يبدو؟»، سألت الفتاة.

«يصعب الإجابة عن هذا»، قال الرجل جادًا، «إن أوز ساحر عظيم كما تعرفون، ويمكنه اتخاذ أي شكل يشاءه. يقول البعض إنه يشبه الطير، ويقول آخرون إنه يشبه الفيل، ويقول غيرهم إنه يشبه القط. ويظهر لآخرين بوصفه جنية جميلة، أو سميراء[1] أو أي شكل آخر يبهجه. ولكن لا أحد يعرف أوز الحقيقي أو متى يتجسد في شكله الحقيقي».

«هذا غريب جدًا»، قالت دوروثي، «لكن علينا أن نحاول رؤيته بطريقة ما، وإلا كانت رحلتنا سدى».

«لِمَ تودون رؤية أوز الرهيب؟»، سأل الرجل.

«أريده أن يمنحني عقلًا»، قال الفزاعة بحرارة.

---

(١) جنية سمراء تزعم الأسطورة أنها تساعد في أداء الأعمال المنزلية سرًا.

«أوه، يمكن لأوز أن يفعل ذلك بسهولة»، أجاب الرجل، «فهو يملك عقلًا أكثر مما يحتاج».

«وأنا أريده أن يمنحني قلبًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«وهذا لن يكلفه عناء»، واصل الرجل، «لأن لأوز مجموعة كبيرة من القلوب، من كل الأحجام والأشكال».

«وأنا أريده أن يمنحني الشجاعة»، قال الأسد الجبان.

«يحتفظ أوز بقِدر كبيرة من الشجاعة في غرفة عرشه»، قال الرجل، «غطاها بصحن من ذهب ليمنعها من أن تسيل. سيكون مسرورًا لمنحك شيئًا منها».

«وأنا أريده أن يعيدني إلى كنساس»، قالت دوروثي.

«وأين تقع كنساس؟»، سأل الرجل مندهشًا.

«لست أدري»، أجابت دوروثي بأسى، «لكنها وطني وأنا واثقة أنها تقع في مكان ما».

«محتمل جدًا. حسن، بمقدور أوز فعل أي شيء، لذا فإنني أظن أن بوسعه العثور على كنساس من أجلك. لكن عليكم أولًا أن تتمكنوا من رؤيته، وستكون تلك مهمة عسيرة لأن الساحر العظيم لا يحب رؤية أحد، وله طرقه الخاصة عادة. ولكن ماذا تريد أنت؟»، واصل الرجل كلامه متحدثًا إلى توتو، فاكتفى توتو بهز ذيله لأنه لا يستطيع الكلام، وهذا أمر غريب[1].

(١) نظرًا لأن بوسع كل من الفزاعة والأسد والحطاب رجل الصفيح الكلام جيدًا!

صاحت بهم المرأة بأن العشاء جاهز، فاجتمعوا حول المائدة وأكلت دوروثي بعض العصيدة الشهية وطبقًا من البيض المقلي وطبقًا من الخبز الأبيض اللذيذ، واستمتعت بطعامها. أكل الأسد بعضًا من العصيدة، لكنها لم تعجبه قائلًا إنها معدة من الشوفان، والشوفان هو طعام الخيول لا الأسود. لم يأكل الفزاعة والحطاب رجل الصفيح شيئًا البتة. أما توتو فقد أكل القليل من كل شيء وكان سعيدًا لحصوله على عشاء شهي مرة أخرى.

أعدت المرأة فراشًا لدوروثي لتنام عليه، ورقد توتو قربها، أما الأسد فقد حرس باب غرفتها حتى لا يزعجها أحد. ووقف الفزاعة والحطاب رجل الصفيح في زاوية وظلا هادئين طوال الليل، رغم أنهما لم يستطيعا النوم طبعًا.

ما إن طلعت الشمس في الصباح التالي، حتى انطلقوا في طريقهم ورأوا بريقًا آخر جميلًا في السماء أمامهم.

«لا بد أن هذه مدينة الزمرد»، قالت دوروثي.

أخذ البريق الأخضر يسطع أكثر فأكثر كلما تقدموا، وبدا أنهم يقتربون من نهاية رحلتهم. ومع ذلك وصلوا بعد الظهيرة إلى سور كبير يحيط بالمدينة. كان عاليًا وسميكًا وله لون أخضر ساطع.

كانت أمامهم، وفي نهاية طريق الحجارة الصفراء، بوابة كبيرة مرصعة كلها بأحجار الزمرد الأخضر التي تلألأت في ضوء الشمس، التي أدهش بريقها حتى عيني الفزاعة المرسومتين.

كان بجانب البوابة جرس، وضغطت دوروثي الزر وسمعت

من الداخل صليلًا فضيًا. ثم فتُحت البوابة ببطء، ودخلوا كلهم ووجدوا أنفسهم في غرفة ذات قناطر عالية، رصعت جدرانها بعدد لا يحصى من أحجار الزمرد.

وقف أمامهم رجل قصير بطول المنشكن تقريبًا. كان يرتدي ثيابًا خضرًا، من رأسه حتى أخمص قدميه، وحتى بشرته كانت تشع بلون أخضر. وبقربه وُضع صندوق أخضر كبير.

سأل الرجل حين رأى دوروثي ورفاقها: «ماذا تطلبون في مدينة الزمرد؟».

«أتينا هنا لنرى أوز العظيم»، قالت دوروثي.

دهش الرجل لسماع هذا الجواب حتى إنه جلس ليفكر بالأمر.

«مرت سنوات عديدة منذ أن طلب مني أحدهم رؤية أوز»، قال وهو يهز رأسه في حيرة. «إنه قوي ورهيب جدًا، وإن جئتم في طلب تافه أو أحمق لإقلاق راحة الساحر العظيم، فقد ينتابه الغضب ويدمركم في لحظة».

«لكنه ليس طلبًا تافهًا ولا أحمق»، أجاب الفزاعة، «إنه هام، وقيل لنا إن أوز ساحر طيب».

«إنه كذلك»، قال الرجل الأخضر، «وهو يحكم مدينة الزمرد بحكمة وحسن تدبير. لكنه يكون رهيبًا جدًا مع أولئك الذين ليسوا بصادقين، أو الذين يقتربون منه بدافع الفضول. وقليلون فقط من تجرؤوا على طلب رؤية وجهه. أنا حارس البوابة، وما دمتم تطلبون

رؤية أوز العظيم، علي اصطحابكم إلى قصره. لكن عليكم أولًا أن تضعوا النظارات».

«لماذا؟»، سألت دوروثي.

«لأنكم إن لم تضعوا النظارات أعماكم بريق مدينة الزمرد وعظمتها. حتى الذين يقطنون المدينة يضعون النظارات ليلًا ونهارًا. وكلها مقفول عليها، لأن أوز أمر بذلك عند بناء المدينة أول مرة، ولدي المفتاح الوحيد الذي يفتح قفلها».

فتح الصندوق الكبير، ورأت دوروثي أنه مملوء بنظارات من كل الأحجام والأشكال، وعليها كلها زجاج أخضر. عثر حارس البوابات على نظارة تلائم دوروثي ووضعها على عينيها. وقد ثبتت إليها ربطتين ذهبيتين التفتا حول رأسها، حيث أقفل عليهما معًا بمفتاح صغير كان في طرف سلسلة يضعها حارس البوابة حول عنقه. وبعد أن وضعتهما لم تستطع دوروثي خلعهما لو أرادت، لكنها لم تشأ طبعًا أن يعميها بريق مدينة الزمرد، فلم تقل شيئًا.

وضع الرجل الأخضر نظارات لكل من الفزاعة والحطاب رجل الصفيح والأسد، وحتى توتو الصغير، وكلها أقفلت بسرعة بالمفتاح.

ثم وضع حارس البوابات نظارته وأخبرهم أنه مستعد أن يدلهم على الطريق إلى القصر. وفتح بوابة أخرى، بعد أن أخذ مفتاحًا ذهبيًا كبيرًا من وتد على الحائط، وتبعوه كلهم في المدخل إلى شوارع مدينة الزمرد.

الفصل الحادي عشر
مدينة أوز الزمردية العجيبة

شعرت دوروثي وأصدقاؤها بالدوار بادئ الأمر من بريق المدينة العجيبة، رغم أن النظارات الخضراء كانت تحمي أعينهم. كانت تحف الشوارع بيوت جميلة بنيت كلها من الرخام الأخضر ورصعت بالزمرد البراق في كل مكان. وساروا على رصيف من الرخام الأخضر نفسه، وفي مكان التقاء الحجارة كانت صفوف من الزمرد، وضعت بعناية، يتلألأ بريقها في نور الشمس. كانت ألواح النوافذ من الزجاج الأخضر، وقد اكتست السماء فوق مدينة الزمرد بصباغ أخضر، وكانت أشعة الشمس خضراء.

كان الكثير من الناس، رجالًا ونساء وأطفالًا، يتجولون في الأرجاء وقد ارتدوا كلهم ثيابًا خضرًا ولهم وجوه مخضرة. نظروا إلى دوروثي ومجموعتها الغريبة المنوعة بعيون ملؤها الدهشة، وولى كل الأطفال هاربين واختبؤوا خلف أمهاتهم حين رأوا الأسد، لكن لا أحد تحدث إليهم. كان في الشوارع الكثير من المتاجر، ورأت دوروثي أن كل شيء فيها كان أخضر. كانت الحلوى الخضراء

والفشار الأخضر معروضين بالتخفيضات، إلى جانب الأحذية الخضراء والقبعات الخضراء والثياب الخضراء من كل الأشكال. وفي أحد المتاجر كان رجل يبيع عصير الليمون الأخضر، وحين اشتراه الأطفال رأتهم دوروثي يسددون ثمنه ببنسات خضراء.

تبين أنه ليس من خيول ولا حيوانات من أي نوع، بل كان الرجال يحملون الأمتعة في عربات خضر يدفعونها أمامهم. وبدا الجميع سعداء وراضين ويعيشون في بحبوحة.

أخذهم حارس البوابة عبر الشوارع حتى وصلوا مبنى كبيرًا، يقع في وسط المدينة تمامًا، وكان قصر أوز الساحر العظيم. وقف جندي على الباب، يرتدي بزة خضراء وله لحية خضراء طويلة.

قال له حارس البوابة: «هؤلاء غرباء، ويطلبون رؤية أوز العظيم».

أجاب الجندي: «ادخلوا، سأنقل له رسالتكم».

فعبروا بوابة القصر وأخذوا إلى غرفة كبيرة مفروشة بسجادة خضراء وأثاث أخضر جميل مطعم بالزمرد. جعلهم الجندي يمسحون أقدامهم على سجادة خضراء قبل دخول هذه الغرفة، وقال لهم بتهذيب حين جلسوا: «أرجو أن ترتاحوا إلى أن أذهب إلى باب غرفة العرش فأخبر أوز أنكم هنا».

كان عليهم الانتظار طويلًا قبل أن يعود الجندي. وحين عاد أخيرًا سألته دوروثي:

«هل رأيت أوز؟».

«أوه، كلا»، أجاب الجندي، «لم أره يومًا، لكني تحدثت إليه وهو يجلس خلف ساتر وأوصلت رسالتكم إليه. وقال إنه سيصغي إليكم إن شئتم، لكن ينبغي على كل واحد منكم أن يدخل إليه بمفرده. وسيلتقي واحدًا كل يوم، وهذا يعني أن عليكم البقاء في القصر بضعة أيام، وسآخذكم إلى الغرف التي تنالون فيها قسطًا من الراحة بعد رحلتكم».

«شكرًا لك. هذا كرم بالغ من أوز»، ردت الفتاة.

نفخ الجندي في صافرة خضراء، فدخلت الغرفة حالًا شابة ترتدي فستانًا من الحرير الأخضر الجميل. كان لها شعر أخضر جميل وعينان خضراوان، وانحنت لدوروثي وهي تقول:

«ابتعيني وسآخذك إلى غرفتك».

فودعت دوروثي كل أصدقائها عدا توتو، وتبعت الفتاة الخضراء، حاملة الكلب بين ذراعيها، عبر سبعة ممرات وأعلى ثلاث طبقات من السلالم حتى وصلتا إلى غرفة في مقدمة القصر. كانت أجمل الغرف في العالم وأصغرها، فيها فراش وثير ومريح شرشفه من الحرير الأخضر ولحافه من القطيفة الخضراء. وفي وسط الغرفة كانت نافورة صغيرة تطلق رذاذًا من العطر الأخضر في الهواء، يسقط على حوض من الرخام الأخضر المنقوش بإتقان. وفي النافذة وضعت زهور خضراء جميلة، ووضع رف عليه صفوف من الكتب الخضراء الصغيرة. حين سنحت الفرصة لدوروثي لتفتح الكتب

وجدتها مليئة بالرسوم الخضراء الجميلة التي أضحكتها، فقد كانت طريفة جدًا.

وفي خزانة للثياب وضعت الكثير من الفساتين الخضراء من الحرير والأطلس والقطيفة، وكلها كانت تناسب دوروثي تمامًا.

«تصرفي كأنك في بيتك»، قالت الفتاة الخضراء، «وإن رغبت بأي شيء، رني الجرس. سيرسل أوز في طلبك غدًا صباحًا».

تركت دوروثي وحدها وعادت إلى الآخرين، الذين أخذتهم إلى غرفهم، ووجد كل واحد منهم نفسه مستقرًا في مكان بهيج من القصر. كان هذا التهذيب هدرًا في وضع الفزاعة، لأنه حين وجد نفسه وحيدًا في الغرفة، وقف بغباء في بقعة واحدة في الممر، ينتظر طلوع الصباح. فلم يكن ليشعر بالراحة إن اضطجع ولا كان بوسعه إغماض عينيه، فظل طوال الليل يحدق في عنكبوت صغيرة كانت تنسج بيتها في زاوية من الغرفة، كأنما لم تكن الغرفة واحدة من أروع الغرف في العالم. رقد الحطاب رجل الصفيح على فراشه بدافع العادة، لأنه تذكر أيام كان مخلوقًا من لحم ودم، ولكونه عجز عن النوم فقد أمضى الليلة يحرك مفاصله للأعلى والأسفل ليتأكد أنها تعمل جيدًا. فضّل الأسد فراشًا من أوراق الشجر الجافة في الغابة، ولم يعجبه أن يُحبس في غرفة، لكنه كان عاقلًا جدًا ولم يجعل هذا الأمر يزعجه، فوثب على السرير وتدحرج مثل القطة وغط في النوم في لحظة.

جاءت الفتاة الخضراء في الصباح التالي بعد الإفطار لتأخذ

دوروثي، وقد ألبستها واحدًا من أجمل الفساتين من الأطلس الأخضر المقصب. ارتدت دوروثي مئزرًا حريريًا أخضر وعقدت شريطًا أخضر حول عنق توتو، وساروا نحو غرفة عرش العظيم أوز.

دخلوا أولًا إلى ردهة كبيرة كان فيها الكثير من سيدات البلاط وسادته، وكلهم يرتدون أزياء فخمة. لم يكن لهؤلاء الأشخاص من عمل سوى الحديث لبعضهم بعضًا، لكنهم كانوا يأتون كل صباح لينتظروا خارج غرفة العرش، رغم أنهم لم يسمح لهم مرة بلقاء أوز. حين دخلت دوروثي نظروا إليها بفضول، وهمس أحدهم:

«هل ستنظرين حقًا إلى وجه أوز الرهيب؟».

أجابت الفتاة: «طبعًا، إن كان سيراني».

«أوه، سيراك»، قال الجندي الذي أوصل رسالتها إلى الساحر، «رغم أنه لا يحب أن يطلب الناس رؤيته. في الحقيقة لقد كان غاضبًا بادئ الأمر، وقال إن علي أن أعيدك من حيث أتيت. ثم سألني كيف تبدين، وحين ذكرت حذاءك الفضي أثار ذلك اهتمامه كثيرًا. ثم أخبرته في النهاية عن العلامة على جبينك، وقرر عندئذ أنه سيسمح لك بلقائه».

رن الجرس عندها، وقالت الفتاة الخضراء لدوروثي:

«هذه هي الإشارة. عليك أن تدخلي غرفة العرش وحدك».

وفتح باباً صغيرًا، دخلته دوروثي بشجاعة ووجدت نفسها في مكان عجيب. كانت غرفة كبيرة دائرية سقفها عالٍ مقنطر، وكانت

الجدران والسقف والأرضية مغطاة بزمردات كبيرة رصت بإتقان. وتدلى من السقف مصباح كبير، ساطع كالشمس جعل أحجار الزمرد تتلألأ على نحو رائع.

ولكن أكثر ما أثار اهتمام دوروثي كان العرش الكبير المصنوع من الرخام الأخضر والموضوع في وسط الغرفة. كان له شكل الكرسي وقد طعم بالجواهر كما كل شيء آخر. وفي وسط الكرسي رأس كبير دون جسد يسنده ولا ذراعين أو ساقين أو غيرها. ولم يكن الرأس مغطى بالشعر، غير أن له عينين وأنف وفم، وكان يفوق في حجمه حجم رأس أضخم العمالقة.

حين حدقت دوروثي بهذا في عجب وخوف استدارت العينان نحوها ببطء ونظرتا إليها بحدة وثبات، ثم تحرك الفم وسمعت دوروثي صوتًا يقول: «أنا أوز، العظيم والرهيب. من أنت ولم جئت لرؤيتي؟».

لم يكن صوتًا مخيفًا كالذي توقعت أن يصدر من الرأس الكبير، لذا استجمعت شجاعتها وأجابت: «أنا دوروثي، الصغيرة والوديعة. جئت إليك طلبًا لمساعدتك».

نظرت إليها العينان بثبات لدقيقة كاملة، ثم قال الصوت:

«من أين حصلت على الحذاء الفضي؟».

«حصلت عليه من ساحرة الشرق الشريرة، حين سقط بيتي عليها وقتله»، أجابت.

«ومن أين حصلت على العلامة في جبينك؟»، واصل الصوت الحديث.

«هذا مكان قبلة ساحرة الشمال الطيبة حين ودعتني وأرسلتني إليك»، قالت الفتاة.

نظرت إليها العينان بحدة مرة أخرى، وعرفتا أنها كانت تقول الحقيقة. ثم سأل أوز:

«ما الذي تريدين مني فعله؟».

«أعدني إلى كنساس، حيث تعيش الخالة إم والخال هنري»، أجابت بجد، «لا أحب بلادكم رغم أنها جميلة. وأنا واثقة أن الخالة إم تشعر بعظيم القلق لغيابي كل هذا الوقت».

رمشت العينان ثلاث مرات، ثم التفتتا نحو السقف وإلى الأرضية ثم دارتا دورانًا غريبًا جدًا حتى كأنهما تريان كل جزء في الغرفة، ثم نظرتا إلى دوروثي في النهاية.

«ولمَ عليّ فعل ذلك من أجلك؟»، سأل أوز.

«لأنك قوي وأنا ضعيفة، ولأنك ساحر عظيم وأنا لست إلا فتاة صغيرة لا حول لي»، أجابت.

«لكنك كنت قوية بما يكفي لقتل ساحرة الشرق الشريرة»، قال أوز.

«هذا حدث فحسب، ولم يكن بوسعي منعه»، ردت دوروثي.

«حسن»، قال الرأس، «إليك جوابي. ليس لك الحق أن تتوقعي مني إعادتك إلى كنساس ما لم تفعلي شيئًا لي في المقابل. على المرء في هذه البلاد أن يدفع مقابل كل ما يحصل عليه. إن أردتني أن أستخدم قواي السحرية لأعيدك إلى ديارك ثانية، فعليك فعل شيء من أجلي أولًا. ساعديني فأساعدك».

«وما الذي علي فعله؟»، سألت الفتاة.

«اقتلي ساحرة الغرب الشريرة»، أجاب أوز.

«لكني لا أستطيع»، قالت دوروثي مذهولة جدًا.

«لقد قتلت ساحرة الشرق الشريرة وترتدين الحذاء الفضي، الذي له تعويذة قوية. لم يبق الآن إلا ساحرة شريرة واحدة في هذه البلاد، وحين تخبريني أنها ماتت سأعيدك إلى كنساس، لكن ليس قبل ذلك..».

أخذت الفتاة الصغيرة تبكي، فقد كانت خائبة الرجاء كثيرًا، ورمشت العينان ثانية ونظرتا إليها بقلق، كأنما شعر أوز العظيم أن بوسعها مساعدته لو أرادت.

«لم أقتل يومًا عامدة»، قالت وهي تنشج، «وحتى إن أردت ذلك، كيف لي أن أقتل الساحرة الشريرة؟ إن كنت أنت، العظيم والرهيب، لا تستطيع قتلها بنفسك، فكيف تتوقع مني فعل ذلك؟».

«لست أدري»، قال الرأس، «لكن هذا جوابي، ولن تري خالك وخالتك ثانية حتى تموت الساحرة الشريرة. تذكري أن الساحرة

شريرة -شريرة للغاية- ولا بد من قتلها. والآن انصرفي ولا تطلبي رؤيتي ثانية ما لم تنجزي مهمتك».

خرجت دوروثي من غرفة العرش حزينة، وعادت إلى المكان الذي ينتظرها فيه الأسد والفزاعة والحطاب رجل الصفيح لسماع ما قاله أوز لها.

«لا أمل لي»، قالت حزينة، «لأن أوز لن يعيدني إلى دياري، حتى أقتل ساحرة الغرب الشريرة، وهذا ما لا يمكنني فعله مطلقًا».

شعر أصدقاؤها بالأسى، لكن لم يكن بمقدورهم فعل شيء لمساعدتها، فذهبت إلى غرفتها ورقدت على الفراش وبكت حتى نامت.

جاء الجندي ذو السبلتين الخضراوين في الصباح التالي إلى الفزاعة وقال:

«تعال معي، لأن أوز أرسل في طلبك».

فتبعه الفزاعة وأدخل إلى غرفة العرش الكبيرة، حيث رأى سيدة فائقة الجمال تجلس على عرش الزمرد. كانت ترتدي ثوبًا من الحرير الأخضر الرقيق، وتضع على خصلاتها الخضراء المنسابة تاجًا من الجواهر. ومن كتفيها برز جناحان، رائع لونهما وفائقة خفتهما حتى إنهما يرفرفان إن مرت بهما أرق نسمة.

حين انحنى الفزاعة، بقدر ما يسمح له حشوه من القش من إتقان، أمام المخلوقة الجميلة نظرت إليه نظرة عذبة وقالت:

«أنا أوز، العظيم والرهيب. من أنت ولمَ جئت لرؤيتي؟».

دهش الفزاعة، الذي توقع رؤية الرأس الذي وصفته له دوروثي، لكنه أجابها بشجاعة:

«أنا لست إلا فزاعة، محشوا بالقش. ولذا ليس لي عقل، وأتيت أتوسل إليك أن تضع عقلًا في رأسي بدلًا من القش، فقد أصبح رجلًا بقدر أي واحد في أراضيك».

«ولمَ عليّ فعل ذلك من أجلك؟»، سألت السيدة.

«لأنك حكيم وقوي، ولا يستطيع أحد آخر مساعدتي»، أجاب الفزاعة.

«لا أسدي معروفًا دون مقابل أبدًا»، قال أوز، «لكني أعدك بهذا. إن قتلت ساحرة الغرب الشريرة من أجلي، فسأمنحك عقلًا رائعًا، وبعقل رائع كهذا ستصبح أكثر الرجال حكمة في بلاد أوز».

«ظننت أنك طلبت من دوروثي قتل الساحرة»، قال الفزاعة مندهشًا.

«هذا صحيح. لست أبالي من يقتلها، لكني لن أحقق لك أمنيتك إلى أن تموت الساحرة. انصرف الآن، ولا تطلب رؤيتي ثانية حتى تفعل ما يخولك الفوز بالعقل الذي تتمناه بقوة».

عاد الفزاعة حزينًا إلى أصدقائه وأخبرهم بما قاله أوز، ودهشت دوروثي لمعرفة أن الساحر العظيم لم يكن رأسًا كما رأته، بل سيدة جميلة.

«الأمر سيان»، قال الفزاعة، «إنها تحتاج قلبًا بقدر ما يحتاجه الحطاب رجل الصفيح».

في الصباح التالي جاء الجندي ذو السبلتين الخضراوين إلى الحطاب رجل الصفيح وقال:

«أرسل أوز في طلبك، فاتبعني».

فتبعه الحطاب رجل الصفيح ودخل إلى غرفة العرش الكبيرة. لم يكن يعرف إن كان سيجد أوز سيدة جميلة أو رأسًا، لكنه تمنى أن يكون السيدة الجميلة. وقال في نفسه «إن كان الرأس فأنا واثق أنني لن أُمنح قلبًا، فالرأس ليس له قلب ولذا لا يمكنه أن يشعر بي. ولكن إن كانت السيدة الجميلة فسأتوسل إليها بقوة أن تمنحني قلبًا، إذ يقال إن كل السيدات ذوات قلوب رقيقة».

ولكن حين دخل الحطاب غرفة العرش الكبيرة لم ير الرأس ولا السيدة الجميلة، لأن أوز اتخذ شكل حيوان مخيف جدًا. كان كبيرًا بقدر الفيل، وبدا أن العرش بالكاد قادر على احتمال وزنه. كان للحيوان رأس يشبه رأس وحيد القرن، غير أن في رأسه خمس عيون. وله خمسة أذرع طويلة تنبت من جسده، وخمس سيقان طويلة نحيلة. وغطى كل جزء من جسده شعر أصوف كثيف، ولا يمكن تخيل حيوان أكثر منه رهبة. لحسن الحظ أن الحطاب رجل الصفيح ليس له قلب، وإلا لكان دق بسرعة من الخوف. لكنه لم يكن خائفًا البتة، لأنه من صفيح، رغم أنه كان يشعر بخيبة أمل شديدة.

«أنا أوز العظيم والرهيب»، قال الحيوان بصوت بزأرة واحدة، «من أنت ولم جئت لرؤيتي؟».

«أنا حطاب مصنوع من صفيح، ولذلك ليس لي قلب ولا يمكنني أن أحب. أتوسل إليك أن تمنحني قلبًا فأكون به مثل الرجال الآخرين».

«ولمَ علي فعل ذلك؟»، سأل الحيوان.

«لأنني طلبته، وأنت وحدك القادر على تلبية طلبي»، أجاب الحطاب.

أطلق أوز هديرًا خفيضًا وقال بفظاظة:

«إن كنت تطلب قلبًا، فعليك كسبه حقًا».

«كيف؟»، سأل الحطاب.

«ساعد دوروثي في قتل ساحرة الغرب الشريرة»، أجاب الحيوان، «وحين تموت الساحرة، تعال إلي فأمنحك عندئذ أكبر القلوب وأكثرها عطفًا وحبًا في بلاد أوز».

فاضطر الحطاب رجل الصفيح إلى العودة بأسى إلى أصدقائه وأخبرهم عن الحيوان المخيف الذي رآه. فتعجبوا كلهم من الأشكال الكثيرة التي يتخذها الساحر العظيم لنفسه، وقال الأسد:

«إن كان حيوانًا حين أذهب لرؤيته، فسأزأر بأعلى صوتي، فأخيفه ويمنحني طلبي. وإن كانت سيدة جميلة سأتظاهر بالوثب عليها فأجبرها بهذا على أن تلبي رغبتي، وإن كان الرأس الكبير

فسيكون تحت رحمتي، لأني سأدحرج هذا الرأس حتى يعدني بمنحنا ما نطلب. فابتهجوا يا أصدقائي لأن كل شيء سيكون على ما يرام».

في الصباح التالي قاد الجندي ذو السبلتين الخضراوين الأسد إلى غرفة العرش الكبيرة، وأدخله للقاء أوز.

دخل الأسد الباب من فوره، وحين نظر من حوله رأى متعجبًا أمام العرش كرة من لهب، متوهجة وكبيرة بالكاد احتمل النظر إليها. خطر له في البدء أن النار أصابت أوز وأنه يحترق، ولكن حين حاول الاقتراب، كانت الحرارة شديدة حتى إنها لفحت شاربيه، فزحف للخلف مرتعدًا إلى بقعة أقرب إلى الباب.

ثم انبعث صوت هادئ خفيض من كرة اللهب، وكانت هذه هي الكلمات التي تحدث بها:

«أنا أوز، العظيم والرهيب. من أنت ولمَ تطلب رؤيتي؟».

فأجاب الأسد: «أنا أسد جبان، أخاف كل شيء. وجئت إليك لأتوسل إليك أن تمنحني الشجاعة، حتى أصبح في أرض الواقع ملك الحيوانات، كما يسميني الناس».

«ولم يتعين علي فعل ذلك؟»، سأل أوز.

«لأنك الأعظم بين كل السحرة، وتملك وحدك القوة لمنحي سؤلي»، أجاب الأسد.

اشتعلت كرة اللهب بقوة لوهلة، وقال الصوت:

«هات لي دليلًا على أن ساحرة الغرب الشريرة قد ماتت،

وسأمنحك الشجاعة حينئذٍ. ولكنك ستبقى جبانًا ما دامت الساحرة على قيد الحياة».

كان الأسد غاضبًا لهذا الكلام، لكنه لم يستطع التفوه برد على ذلك، وبينما وقف يحدق بكرة اللهب صامتًا، غدت شديدة الحرارة، فأدار ذيله واندفع خارجًا من الغرفة. كان مسرورًا حين رأى أصدقاءه بانتظاره، وأخبرهم عن اللقاء الرهيب مع الساحر.

«ما الذي سنفعله الآن؟»، قالت دوروثي بحزن.

«يمكننا فعل أمر واحد فحسب»، أجاب الأسد، «فلنذهب إلى بلاد الونكي ونبحث عن الساحرة الشريرة ونقتلها».

«ولكن لنفترض أننا لم نستطع»، قالت الفتاة.

«عندها لن أنال الشجاعة أبدًا»، قال الأسد.

«ولن أحصل على عقل أبدًا»، قال الفزاعة.

«وأنا لن أحصل على قلب أبدًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«ولن أرى الخالة إم والخال هنري أبدًا»، قالت دوروثي وقد أخذت تبكي.

«كوني حذرة»، قالت الفتاة الخضراء، «ستسقط الدموع على ثوبك الحريري الأخضر وتبقعه».

فجففت دوروثي عينيها وقالت:

«أظن أن علينا المحاولة، لكني أعلم أنني لا أود قتل أحد،

حتى لو كان المقابل رؤية الخالة إم مرة أخرى».

«سأذهب معك، لكنني جبان جدًا لأقتل الساحرة»، قال الأسد.

«سأذهب أيضًا»، قال الفزاعة، «لكنني لن أكون معينًا لك جدًا، فلست إلا أحمق».

«ليس لدي قلب لأؤذي حتى ساحرة»، قال الحطاب رجل الصفيح، «لكن إن ذهبت فأنا ذاهب معك حتمًا».

وهكذا تقرر أن يبدؤوا رحلتهم الصباح التالي، فشحذ الحطاب فأسه على مجلخة خضراء وصبَّ الزيت على كل مفاصله جيدًا. وحشا الفزاعة نفسه بقش جديد ووضعت دوروثي طلاء جديدًا على عينيه حتى يستطيع الرؤية جيدًا. ملأت الفتاة الخضراء، التي كانت طيبة معهم، سلة دوروثي بأشياء شهية تأكلها، وربطت جرسًا صغيرًا حول عنق توتو بشريط أخضر.

خلدوا للنوم باكرًا جدًا وناموا بهدوء حتى طلوع النهار، حين أيقظهم صياح ديك أخضر عاش في الفناء الخلفي للقصر، ووقوقة دجاج باضت بيضة خضراء.

الفصل الثاني عشر
البحث عن الساحرة الشريرة

أخذهم الجندي ذو السبلتين الخضراوين في شوارع مدينة الزمرد حتى وصلوا الغرفة التي يسكنها حارس البوابة. وفتح هذا الحارس أقفال نظاراتهم ليعيدها إلى صندوقه الكبير، ثم فتح لأصدقائنا البوابة بأدب.

«أي الطرق يأخذنا إلى ساحرة الغرب الشريرة؟»، سألت دوروثي.

أجاب حارس البوابة: «ليس ثمة طريق، فلا أحد يتمنى أن يذهب في ذلك الاتجاه أبدًا».

«كيف سنجدها إذًا؟»، سألت الفتاة.

«سيكون ذلك سهلًا»، رد الرجل، «لأنها حين تعرف أنكم في بلاد الونكي[1] ستعثر عليكم وتجعل منكم عبيدًا لها».

---

(١) قد تكون ونكي –حسب تفسير مايكل پاترك هيرن– winkie مأخوذة من الفعل wink أي يطرف أو يرف بعينيه، إلا أنه قد يشير إلى معنى التعبير العامي «قليل من الضوء»، وربما كان ذلك مناسبًا ليكون اسمًا لهذه البلاد باعتبار أنها موضع غروب الشمس.

«ربما لن تفعل»، قال الفزاعة، «لأننا ننوي قتلها».

«أوه، هذا مختلف»، قال حارس البوابة، «فلم يحاول أحد قتلها من قبل، لذا ظننتها ستجعل منكم عبيدًا كما فعلت بكل الآخرين. لكن خذوا حذركم لأنها شريرة وقوية، وقد لا تسمح لكم بقتلها. امشوا نحو الغرب حيث تغيب الشمس ولن تخفقوا في العثور عليها».

فشكروه وودعوه، ويمموا شطر الغرب وهم يمشون على حقول من العشب الطري المرقط هنا وهناك بالأقحوان والحوذان. ما زالت دوروثي ترتدي الفستان الحريري الجميل الذي ارتدته في القصر، ولكنها دهشت حين وجدت أنه لم يعد أخضر، بل أبيض ناصع. كما أن الشريط حول عنق توتو قد فقد لونه أيضًا وصار أبيض مثل ثوب دوروثي.

كانت مدينة الزمرد قد صارت بعيدة خلفهم. وكلما تقدموا صارت الأرض أكثر وعورة وتحدرًا، فلم يكن في بلاد الغرب أي مزارع أو بيوت وكانت الأرض بورًا.

سطعت الشمس بحرارة بعد الظهيرة في وجوههم، إذ لم يكن في الأنحاء أشجار تُظلّهم، فأصيب كل من دوروثي وتوتو والأسد بالإعياء قبل حلول الليل، واستلقوا على العشب وناموا، يحرسهم الفزاعة والحطاب رجل الصفيح.

لم يكن لساحرة الغرب الشريرة إلا عين واحدة، ولكنها كانت قوية مثل منظار، وبإمكانها أن ترى كل شيء. وصادف أنها رأت

دوروثي ترقد نائمة وأصدقاؤها من حولها، حين كانت تجلس أمام باب قلعتها. كانوا يبعدون عنها كثيرًا، لكن الساحرة الشريرة استشاطت غضبًا حين عرفت أنهم على أرضها، فنفخت في صفارة فضية معلقة حول عنقها.

فجاء إليها على الفور من كل قطيع من الذئاب الكبيرة تجري من كل حدب وصوب، وكان لها سيقان طويلة وأنظار ثاقبة وأسنان حادة.

«اذهبوا إلى هؤلاء ومزقوهم إربًا إربًا»، قالت الساحرة.

«ألن تجعلي منهم عبيدًا لك؟»، سأل زعيم الذئاب.

فأجابت: «كلا، فأحدهم من صفيح، والآخر من قش، والأخرى فتاة والآخر أسد. ولن يكون أي منهم ملائمًا للعمل، فبوسعكم تمزيقهم إلى مِزَق صغيرة».

«حسن جدًا»، قال الذئب وانطلق بأقصى سرعته تتبعه الذئاب الأخرى.

من حسن الحظ أن الفزاعة والحطاب رجل الصفيح كانا يقظين جدًا، وسمعا الذئاب قادمة.

«هذه معركتي»، قال الحطاب، «فاختبئ خلفي وسأواجه الذئاب إن أتت».

وأمسك بفأسه، التي شحذها لتكون حادة جدًا. وحين اقترب زعيم الذئاب لوح الحطاب رجل الصفيح بذراعه وفصل رأس

الذئب عن جسده، فمات من فوره. وما إن رفع فأسه حتى اقترب ذئب آخر، ولكنه وقع أيضًا تحت النصل الحاد لسلاح الحطاب رجل الصفيح. كانت أربعين ذئبًا، وقتلت الذئاب أربعين مرة، فرقدت كلها في نهاية الأمر في كومة أمام الحطاب.

ثم وضع فأسه أرضًا وجلس قرب الفزاعة الذي قال:

«كانت معركة جيدة يا صديقي».

وانتظرا حتى استيقظت دوروثي في الصباح التالي. أصيبت الفتاة بذعر شديد لمرأى الكومة الكبيرة من الذئاب المشعثة، لكن الحطاب رجل الصفيح أخبرها بالقصة كاملة.

فشكرته على إنقاذه لهم وجلست لتناول الإفطار، وانطلقوا بعدئذ في رحلتهم.

خرجت الساحرة الشريرة في هذا الصباح نفسه إلى باب قلعتها ونظرت بعينها الوحيدة التي تستطيع رؤية البعيد. فرأت كل ذئابها ترقد ميتة، والغرباء يتنقلون على أراضيها. فزاد غضبها أكثر من ذي قبل، ونفخت في صفارتها الفضية مرتين.

وجاء على الفور محلقًا نحوها سرب من الغربان المتوحشة الذي كان كافيًا لجعل السماء تظلم. وقالت الساحرة الشريرة لملك الغربان:

«طيروا على الفور إلى الغرباء، وانقروا أعينهم ومزقوهم إربًا».

طارت الغربان المتوحشة في سرب واحد كبير نحو دوروثي

ورفاقها، وشعرت الفتاة بالخوف حين رأتها قادمة نحوهم. لكن الفزاعة قال:

«هذه معركتي، فاستلقوا بالقرب مني ولن تصابوا بأذى».

فاستلقوا كلهم على الأرض ما عدا الفزاعة الذي وقف وبسط ذراعيه. ذعرت الغربان لما رأته، كما تفعل هذه الطيور من الفزاعة، ولم تجرؤ على الاقتراب. لكن ملك الغربان قال:

«إنه ليس إلا رجلًا محشوًا. سأنقر عينيه».

طار ملك الغربان نحو الفزاعة، الذي أمسك به من رأسه ولوى عنقه حتى مات. ثم طار إليه غراب آخر ولوى الفزاعة عنقه أيضًا. كانت الغربان أربعين غرابًا، ولوى الفزاعة عنقها أربعين مرة، حتى رقد آخرها ميتًا قربهم. ثم نادى أصحابه لينهضوا، وواصلوا رحلتهم مرة أخرى.

حين نظرت الساحرة الشريرة ثانية ورأت أن كل غربانها راقدة في كومة، انتابها غضب عارم، ونفخت في صفارتها الفضية ثلاث مرات.

عندئذ سُمع طنين عظيم في الجو، وحلق نحوها سرب من النحل الأسود.

«اذهبوا إلى الغرباء والسعوهم حتى الموت!»، أمرتهم الساحرة، واستدار النحل وطار مسرعًا حتى وصل دوروثي وأصدقاءها. لكن الحطاب رآه قادمًا، والفزاعة قرر ما سيفعله.

«أخرج قشي وانثره على الفتاة الصغيرة والكلب والأسد»، قال للحطاب، «فلا يلسعهم هذا النحل». فعل الحطاب ذلك، وحين استلقت دوروثي قرب الأسد وتوتو بين ذراعيها، غطاهم القش تمامًا.

جاء النحل ولم يعثر على أحد يلسعه سوى الحطاب، فطار نحوه وكسر شوكاته على الصفيح، دون أن يصاب الحطاب بأذى البتة. ولأن النحلة لا يمكنها العيش بعد انكسار شوكتها، كانت تلك نهاية النحل الأسود، فتناثر قرب الحطاب بكثافة، مثل كومة من حبيبات الفحم.

ثم نهضت دوروثي والأسد، وساعدت الفتاة الحطاب رجل الصفيح في حشو الفزاعة بالقش مرة أخرى، حتى عاد كما كان. ثم تابعوا رحلتهم ثانية.

كانت الساحرة الشريرة غاضبة جدًا حين رأت نحلها الأسود في كومات صغيرة مثل حبيبات الفحم، فخبطت بقدمها وشدت شعرها وصرت بأسنانها. ثم استدعت عددًا من عبيدها، الذين كانوا من الونكي، وأعطتهم حرابًا حادة، آمرة إياهم بالذهاب إلى الغرباء وقتلهم.

لم يكن الونكي من الشجعان، لكنهم اضطروا لفعل ما أمروا به. فساروا حتى اقتربوا من دوروثي. وزأر الأسد زأرة كبيرة ووثب نحوهم، فأصاب الونكي المساكين رعب شديد وولوا هاربين بأقصى سرعتهم.

حين عادوا إلى القلعة، جلدتهم الساحرة الشريرة بحزام وأعادتهم إلى عملهم، ثم جلست لتفكر بما ستفعله تاليًا. لم تستطع أن تفهم كيف فشلت كل خططها في القضاء على الغرباء، لكنها كانت ساحرة قوية، كما أنها شريرة، وعرفت من فورها ما يجب فعله.

كان لديها في خزانتها قبعة ذهبية، تحفها حلقة من الماس والياقوت، ولهذه القبعة الذهبية تعويذة؛ يمكن لمن يملكها أن ينادي القردة المجنحة ثلاث مرات، وستلبي أي أمر تؤمر به. لكن ليس بوسع أحد أن يأمر هذه المخلوقات الغريبة أكثر من ثلاث مرات. وقد استخدمت الساحرة الشريرة تعويذة القبعة مرتين مسبقًا؛ مرة حين جعلت الونكي عبيدًا لها، ونصبت نفسها حاكمة لبلادهم، فساعدتها القردة المجنحة في فعل ذلك. أما المرة الأخرى فكانت حين حاربت أوز العظيم بنفسه، وطردته خارج بلاد الغرب. وبوسعها استخدام هذه القبعة الذهبية مرة أخرى فحسب، ولهذا السبب لم تكن راغبة في استخدامها حتى تستنفد كل قواها. ولكن ما دامت ذئابها الرهيبة وغربانها المتوحشة ونحلاتها اللاسعة قد ماتت جميعًا، وعبيدها قد أخافهم الأسد الجبان، رأت أنها الطريقة الوحيدة الباقية للقضاء على دوروثي وأصدقائها.

فأخرجت الساحرة الشريرة القبعة الذهبية من خزانتها ووضعتها على رأسها، ثم وقفت على قدمها اليسرى وقالت ببطء:

«إپ – پي، پيپ – پي، كاك – كي!».

ثم وقفت على قدمها اليمنى وقالت:

«هِل – لو، هول – لو، هِلو».

ثم وقفت على قدميها الاثنتين وقالت:

«زز–زي، زُز–زي، زِك!».

وبدأت التعويذة بالعمل، فقد أظلمت السماء وسمع في الجو صوت دوي قريب. وسمع صوت رفرفة أجنحة كثيرة، ولغو وضحك عاليين، وبرزت الشمس من السماء المعتمة لتكشف أن الساحرة الشريرة محاطة بحشد من القرود، لكل منها جناحان هائلان قويان على كتفيه.

وبدا أحدهم، الذي كان أكبر من البقية بكثير، قائدهم. وطار مقتربًا من الساحرة وقال:

«لقد دعوتنا للمرة الثالثة والأخيرة، فبم تأمرين؟».

«اذهبوا إلى الغرباء على أرضي واقضوا عليهم كلهم ما عدا الأسد»، قالت الساحرة الشريرة. «اجلبوا لي الوحش، لأني أرغب في ربطه مثل حصان، وأجعله يعمل».

«أمرك مطاع»، قال القائد. ثم، بكثير من اللغو والضجيج، طارت القردة المجنحة إلى المكان الذي تمشي فيه دوروثي وأصدقاؤها.

أمسكت بعض القردة بالحطاب رجل الصفيح وحملته في الهواء حتى صارت فوق أرض تغطيها صخور مدببة. فألقت الحطاب المسكين الذي وقع من علٍ على الصخور، حيث رقد محطمًا ومنبعجًا جدًا، وعجز عن الحركة أو الأنين.

أمسكت قردة أخرى بالفزاعة، وأخرجت بأصابعها الطويلة كل القش من ثيابه ورأسه. وقد كومت قبعته وثيابه وحذاءه في حزمة صغيرة ألقت بها إلى أعالي أغصان شجرة باسقة.

أما القردة الباقية فقد ألقت على الأسد حبالًا قوية ولفت لفافات كثيرة حول جسده ورأسه وأرجله حتى صار عاجزًا عن الخدش والعض أو القتال بأي شكل. ثم رفعته وطارت به إلى قلعة الساحرة، إذ وضع في فناء صغير له سياج معدني حوله، فلا يستطيع الهرب.

لكنهم لم يصيبوا دوروثي بأذى أبدًا. فقد وقفت، حاملة توتو بين ذراعيها، تراقب المصير الحزين لرفاقها وتظن أن دورها سيحين سريعًا. طار إليها زعيم القردة المجنحة وقد مد ذراعيه الطويلين المشعرين ووجهه القبيح شديد العبوس، لكنه رأى علامة قبلة الساحرة الطيبة على جبينها وتوقف قليلًا، مشيرًا للآخرين بألا يمسوها.

«لا نجرؤ على إيذاء هذه الفتاة الصغيرة»، قال لهم، «فقوة الخير تحميها وهذه أقوى من قوة الشر. كل ما بوسعنا فعله أن نحملها إلى قلعة الساحرة الشريرة ونتركها هناك».

فرفعوا دوروثي بأيديهم بحذر ولطف وحملوها بسرعة في الهواء حتى وصلوا القلعة، حيث أنزلوها عند عتبة الباب. ثم قال الزعيم للساحرة: «لقد أطعنا أمرك ما قدرنا على ذلك، فقضي على الفزاعة والحطاب رجل الصفيح، والأسد مربوط في فنائك. لكننا لا نجرؤ

على إيذاء الفتاة الصغيرة ولا الكلب الذي تحمله بين ذراعيها. لقد انقضت سلطتك على جماعتنا، ولن ترينا ثانية».

ثم طارت القردة المجنحة، بكثير من الضوضاء واللغو والضحك، في الهواء واختفت عن الأنظار سريعًا.

دهشت الساحرة الشريرة وتعجبت لما رأت العلامة على جبين دوروثي، لأنها عرفت جيدًا أنه لا القردة المجنحة ولا هي نفسها تجرؤ على إيذاء الفتاة الصغيرة بأي شكل. ثم خفضت نظرها نحو قدمي دوروثي، وأخذت ترتعد خوفًا حين رأتها ترتدي الحذاء الفضي، لأنها عرفت أي تعويذة قوية يحملها. حاولت الساحرة في البدء الفرار من دوروثي، لكنها نظرت في عيني الطفلة ورأت كم كانت روحها بريئة، وأن الفتاة الصغيرة لا تعرف بأمر القوة العجيبة التي يمنحها الحذاء الفضي. فأخذت الساحرة الشريرة تضحك في سرها وتقول «ما زال بوسعي جعلها عبدة لي، لأنها لا تعرف كيف تستخدم قوتها». ثم قالت لدوروثي بخشونة وقسوة:

«تعالي معي، وافعلي كل ما آمرك به، لأنك إن لم تفعلي فسأقضي عليك، كما فعلت بالحطاب رجل الصفيح والفزاعة».

تبعتها دوروثي عبر الكثير من الغرف الجميلة في قلعتها، حتى وصلتا المطبخ، إذ أمرتها الساحرة الشريرة أن تنظف القدور والأباريق وتكنس الأرض وتبقي النار مشتعلة.

شرعت دوروثي بالعمل بنشاط، وقد عزمت أن تعمل بأقصى جهدها، لأنها سرت أن الساحرة الشريرة قررت ألا تقتلها.

وبانهماك دوروثي بالعمل ظنت الساحرة أن بوسعها الذهاب إلى الفناء وربط الأسد الجبان مثل حصان، إذ كانت واثقة أن جعله يجر عربتها كلما أرادت الذهاب في جولة سيسليها. ولكن الأسد زأر زأرة عالية ما إن فتحت البوابة، ووثب إليها بقوة أخافت الساحرة، فولت هاربة وأغلقت البوابة ثانية.

«إن لم يكن بمقدوري ربطك»، قالت الساحرة الشريرة للأسد وهي تتحدث إليه من خلال قضبان البوابة، «فسأجعلك تتضور جوعًا، ولن يكون لديك ما تأكله حتى تفعل ما أريد».

ولم تأخذ بعد ذلك أي طعام للأسد الحبيس، لكنها كانت تأتي كل يوم وقت الظهيرة إلى البوابة وتسأل:

«هل أنت مستعد لربطك مثل حصان؟».

فيجيب الأسد:

«كلا. سأعضك إن دخلت هذا الفناء».

وأما السبب الذي دفع بالأسد ألا يفعل ما تأمره الساحرة، فلأن دوروثي تجلب له الطعام من الخزانة كل ليلة، حين تنام المرأة. وبعد أن يفرغ من طعامه يستلقي على فراشه القش وتستلقي دوروثي قربه واضعة رأسها على لبدته الطرية المشعثة، وهما يتحدثان عن مأزقهما ويحاولان العثور على طريقة للهرب. لكنهما لم يجدا طريقة للخروج من القلعة، لأن الونكي الصفر، الذين كانوا عبيدًا للساحرة الشريرة ويخشون كثيرًا ألا يفعلوا ما تأمرهم، كانوا يحرسونها باستمرار.

تعين على الفتاة العمل بجد أثناء النهار، وكثيرًا ما هددتها الساحرة الشريرة بأن تضربها بالمظلة القديمة نفسها التي تحملها بيدها دومًا. غير أنها في الحقيقة لم تجرؤ على ضرب دوروثي بسبب العلامة على جبينها. لم تعرف الطفلة بهذا وكانت تمتلئ خوفًا على نفسها وعلى توتو. فقد ضربت الساحرة توتو ضربة بمظلتها وأسرع إليها الكلب الصغير الشجاع وعض ساقها بدوره. لم يسل دم الساحرة من موضع العضة، لأنها كانت شريرة جدًا حتى إن دمها جف منذ سنوات بعيدة.

غدت حياة دوروثي حزينة حين أخذت تدرك أن أمر العودة إلى كنساس ورؤية الخالة إم صار أصعب. كانت تبكي بكاء مريرًا لساعات أحيانًا، وتوتو يجلس قرب قدميها وينظر إلى وجهها، وهو يئن بحزن ليبين أنه يشعر بالأسى لحال صاحبته الصغيرة. لم يكترث توتو حقًا سواء أكان كان في كنساس أم في بلاد أوز ما دامت دوروثي معه، لكنه عرف أن الفتاة الصغيرة كانت تعسة، وهذا جعله تعسًا أيضًا.

كانت الساحرة الشريرة تتوق بشدة للحصول على الحذاء الفضي الذي ترتديه الفتاة دومًا. وكانت نحلاتها وغربانها وذئابها ترقد في أكوام وقد أخذت تجف، وقد استخدمت كل قوى القبعة الذهبية، ولكنها إن تمكنت من الاستيلاء على الحذاء الفضي فسيمنحها قوة أكثر من كل الأشياء التي فقدتها. فراقبت دوروثي بحذر، لترى إن كانت تخلع حذاءها، ظانة أن بمقدورها سرقته. لكن الطفلة كانت فخورة جدًا بحذائها الجميل ولم تخلعه أبدًا إلا

ليلًا حين تغتسل. كانت الساحرة تخشى الظلام كثيرًا ولم تجرؤ على دخول غرفة دوروثي ليلًا لأخذ الحذاء، وكان خوفها من الماء أعظم من خوفها من الظلام، فلم تقترب أبدًا من دوروثي حين تغتسل. في الحقيقة لم تلمس الساحرة العجوز الماء بتاتًا، ولا سمحت للماء أن يمسها أبدًا بأي شكل.

لكن المخلوقة الشريرة كانت شديدة الدهاء، وفكرت أخيرًا بحيلة تمنحها ما تريد. فوضعت قضيبًا من الحديد وسط أرضية المطبخ، وجعلت الحديد خفيًا عن عيون البشر بفنون سحرها. وهكذا حين مشت دوروثي على الأرض تعثرت بالقضيب، لأنها لم تره، وسقطت بكامل طولها. لم تصب بأذى كبير لكن أحد فردتي الحذاء سقطت منها في وقوعها، وقبل أن تتمكن من الوصول إليه اختطفته الساحرة الشريرة ووضعته في قدمها النحيلة.

سرت المرأة الشريرة كثيرًا بنجاح حيلتها، فما دامت تملك إحدى فردتي الحذاء فهذا يعني أنها امتلكت نصف قوة تعويذته، ولن تتمكن دوروثي من استخدامه ضدها حتى لو عرفت كيف تستخدمه.

غضبت الفتاة الصغيرة بعد أن رأت أنها فقدت إحدى فردتي حذائها الجميل، وقالت للساحرة:

«أعيدي إلي حذائي!».

«لن أفعل»، ردت الساحرة، «لأنه صار حذائي الآن وليس حذاءك».

«يا لك من مخلوقة شريرة!»، صاحت دوروثي، «ليس لك الحق في أخذ حذائي مني».

«سأحتفظ به، هكذا»، قالت الساحرة ضاحكة عليها، «وسأحصل على الفردة الأخرى أيضًا يومًا ما».

جعل هذا دوروثي تستشيط غضبًا فرفعت دلو الماء الذي كان بقربها وصبته على الساحرة، مبللة إياها من رأسها حتى أخمص قدميها.

أطلقت المرأة الشريرة فورًا صرخة ذعر، ومن ثم أخذت تنكمش وتنساب بعيدًا، ودوروثي تنظر إليها في عجب.

«انظري ماذا فعلت!»، صرخت الساحرة، «سأذوب في لحظة».

«أنا آسفة جدًا حقًا»، قالت دوروثي التي كانت خائفة جدًا لمرأى الساحرة تذوب مثل السكر البنّي أمام عينيها.

«ألم تعرفي أن الماء يعني نهايتي؟»، سألت الساحرة بصوت نائح يائس.

«لم أعرف طبعًا»، أجابت دوروثي، «ومن أين لي أن أعرف؟».

«حسن، سأذوب في دقائق، وستصبح القلعة لك وحدك. لقد كنت شريرة طوال حياتي لكني لم أعرف أن فتاة صغيرة مثلك ستتمكن من إذابتي وإنهاء أفعالي الشريرة. احذري، ها أنا أذوب!».

سقطت الساحرة الشريرة، بعد هذه الكلمات، في كتلة بنية ذائبة بلا شكل وأخذت تتمدد على أرضية المطبخ النظيفة. وحين رأت

دوروثي أنها ذابت ولم تعد شيئًا سحبت دلو ماء آخر وصبته على البقعة. ثم شطفته كله خارجًا. بعد أن أخذت الحذاء الفضي الذي كان كل ما تبقى من العجوز، نظفته وجففته بقطعة قماش ولبسته ثانية. ثم، بعد أن صارت حرة في فعل ما تريد، جرت خارجة إلى الفناء لتخبر الأسد أن ساحرة الغرب الشريرة قد انتهى أمرها، وأنهما لم يعودا سجينين في بلاد غريبة.

الفصل الثالث عشر
الإنقاذ

سر الأسد الجبان لسماع أن الساحرة الشريرة قد ذابت بدلو ماء، وفتحت دوروثي على الفور بوابة حبسه وأطلقت سراحه. فدخلا إلى القلعة معًا، حيث كان أول ما فعلته دوروثي أن استدعت كل الونكي وأخبرتهم أنهم لم يعودوا عبيدًا.

ابتهج الونكي الصفر ابتهاجًا عظيمًا، لأنهم أجبروا على العمل الشاق سنوات عديدة لخدمة الساحرة الشريرة، التي عاملتهم بقسوة بالغة. وجعلوا من هذا اليوم يوم عطلة، وأمضوا الوقت دومًا في الولائم والرقص.

«لو كان صديقانا الفزاعة والحطاب رجل الصفيح معنا، لكنت سعيدًا للغاية»، قال الأسد.

«ألا تظن أن بوسعنا إنقاذهما؟»، سألت الفتاة بقلق.

«يمكننا المحاولة»، أجاب الأسد.

واستدعوا الونكي الصفر وسألوهم إن كان بمقدورهم

مساعدتهم في إنقاذ أصدقائهم، فرد الونكي قائلين إنهم يسعدهم بذل كل ما في وسعهم من أجل دوروثي، التي حررتهم من العبودية. فاختارت عددًا من الونكي الذين بدوا عارفين، وانطلقوا جميعًا. فساروا ذلك النهار وردحًا من النهار التالي حتى وصلوا إلى البراح الصخري الذي يرقد فيه الحطاب رجل الصفيح، وقد تحطم وتبعج. كانت فأسه قربه، لكن نصلها كان صدئًا ومقبضها مكسورًا.

حمله الونكي بلطف بين أيديهم، وعادوا به إلى القلعة الصفراء ثانية، وقد ذرفت دوروثي الدمع على المصير الحزين لصديقها القديم، وبدا الأسد حزينًا ووقورًا. قالت دوروثي للونكي حين بلغوا القلعة:

«هل بينكم صفّاح؟».

«أوه، أجل. بعضنا صفّاحون ماهرون»، قالوا لها.

«فآتوني بهم إذًا»، قالت. وسألت حين جاء الحدادون جالبين معهم عدتهم في سلال:

«هل بوسعكم تعديل هذه الانبعاجات في جسد الحطاب رجل الصفيح، وإعادتها إلى شكلها مرة أخرى، وأن تلحموا مواضع الكسر؟».

نظر الصفّاحون إلى الحطاب باهتمام وقالوا إنهم يظنون أن بوسعهم إصلاحه فيعود كما كان. ثم شرعوا بالعمل في واحدة من أكبر الغرف الصفراء في القلعة وعملوا لثلاثة أيام وأربع ليالٍ، يطرقون ويلوون ويثنون ويلحمون ويلمعون ويدقون على ساقي

الحطاب رجل الصفيح ورأسه وجسده، حتى عاد إلى شكله القديم في النهاية، وعملت مفاصله جيدًا كالسابق. لقد كان على جسده بعض الرقع طبعًا، لكن الصفّاحين أدوا عملًا بارعًا، ولم يكترث الحطاب رجل الصفيح بأمر الرقع البتة لأنه لم يكن رجلًا تافهًا.

حين دخل غرفة دوروثي، أخيرًا، ليشكرها على إنقاذه، كان سعيدًا للغاية فذرف دموع الفرح وتعين على دوروثي أن تمسح كل دمعة بعناية من وجهه بمئزرها، كيلا تصدأ مفاصله ثانية. لكنها ذرفت دموعًا مدرارة في الوقت نفسه فرحة بلقاء صديقها القديم ثانية، ولم تكن هذه الدموع بحاجة لمسحها. أما الأسد، فقد جفف عينيه كثيرًا بطرف ذيله حتى ابتل، وتعين عليه أن يخرج إلى الفناء وينشره تحت الشمس كي يجف.

«لو كان معنا الفزاعة فسأكون سعيدًا للغاية»، قال الحطاب رجل الصفيح بعد أن قصت عليه دوروثي كل شيء.

«علينا أن نحاول العثور عليه»، قالت الفتاة.

طلبت الونكي لمساعدتها، فمشوا طوال ذلك النهار وردحًا من النهار التالي حتى وصلوا إلى الشجرة الباسقة التي ألقت القردة المجنحة على أغصانها بثياب الفزاعة.

كانت شجرة عالية جدًا، وكان جذعها زلقًا جدًا فلا يستطيع أحد تسلقه، لكن الحطاب قال فورًا:

«سأقطعها، فنستطيع الوصول إلى ثياب الفزاعة».

حين كان الصفّاحون يعملون على إصلاح الحطاب نفسه، صنع رجل آخر من الونكي، وكان صائغًا، مقبضًا للفأس من الذهب الصلب وثبته إلى فأس الحطاب، عوضًا عن المقبض القديم المكسور. وتولى آخرون تلميع النصل حتى زال عنه الصدأ ولمع مثل فضة صقيلة.

أخذ الحطاب يقطع الشجرة ما إن فرغ من حديثه، فسقطت الشجرة سريعًا محدثة ارتطامًا، وهوت ثياب الفزاعة من الأغصان وتدحرجت على الأرض.

التقطت دوروثي الثياب وجعلت الونكي يحملونها إلى القلعة، حيث حشيت بقش نظيف وطري. انظروا! ها قد عاد الفزاعة، مثلما كان قبلًا، شاكرًا إياهم المرة تلو المرة على إنقاذهم له.

وها قد اجتمعوا الآن، وقضت دوروثي وأصدقاؤها بضعة أيام سعيدة في القلعة الصفراء، حيث عثروا على كل ما يحتاجونه من أسباب الراحة. لكن الفتاة تذكرت الخالة إم يومًا، وقالت:

«علينا أن نعود إلى أوز، ونطالبه بتنفيذ وعده».

«أجل»، قال الحطاب، «سأحصل على قلب أخيرًا».

«وأنا سأحصل على عقل»، أضاف الفزاعة مبتهجًا.

«وأنا سأنال شجاعتي»، قال الأسد بجدية.

«وأنا سأعود إلى كنساس»، صاحت دوروثي وهي تصفق، «أوه. دعونا نذهب إلى مدينة الزمرد غدًا!».

هذا ما عزموا عليه. وجمعوا الونكي في اليوم التالي وودعوهم، وشعر هؤلاء بالأسى لرحيلهم، فقد أحبوا الحطاب رجل الصفيح كثيرًا وتوسلوا إليه أن يبقى ليحكمهم ويحكم بلاد الغرب الصفراء. ولما وجدوا أنهم عازمون على الرحيل، قدم الونكي طوقًا ذهبيًا لتوتو والأسد، وقدموا لدوروثي سوارًا جميلًا مرصعًا بالماس. وقدموا للفزاعة عصًا مذهبة الرأس، لتجنبه التعثر، أما الحطاب رجل الصفيح فقدموا له علبة زيت من الفضة مكسوة بالذهب ومطعمة بالجواهر النفيسة.

أدلى كل واحد من المسافرين بخطاب أمام الونكي، وصافحوهم جميعًا حتى تقوست أيديهم.

ذهبت دوروثي إلى خزانة الساحرة لملء سلتها بطعام للرحلة، ورأت القبعة الذهبية عندئذ. فجربت وضعها على رأسها وناسبتها تمامًا. لم تكن تعلم بأمر تعويذة القبعة الذهبية، لكنها وجدتها جميلة. فعزمت على ارتدائها وأن تحمل قبعتها القديمة في سلتها.

وبعد أن تأهبوا للرحلة، يمموا شطر مدينة الزمرد، وهتف لهم الونكي ثلاثًا وتمنوا لهم الكثير من الأمنيات الطيبة.

الفصل الرابع عشر
القردة المجنحة

لا بد أنكم تتذكرون أنه ليس من طريق - ولا حتى درب- يصل بين قلعة الساحرة الشريرة ومدينة الزمرد. إذ لما كانوا يبحثون عن الساحرة، رأتهم وأرسلت إليهم القردة المجنحة لتجلبهم لها. وكان العثور على طريق العودة بين حقول الحوذان والأقحوان الأصفر الواسعة أصعب مما ظنوا. كانوا يعرفون، بطبيعة الحال، أن عليهم الاتجاه نحو الشرق مباشرة صوب مشرق الشمس، فساروا على الدرب الصحيح. لكن حين صارت الشمس فوق رؤوسهم وقت الظهيرة لم يعرفوا أين الشرق وأين الغرب، وكان هذا سبب تيههم في الحقول الواسعة. واصلوا السير على أية حال، وطلع القمر ليلًا وسطع كثيرًا. فاستلقوا بين الأزهار الصفراء الزكية الرائحة وناموا بهدوء حتى الصباح، كلهم ما عدا الفزاعة والحطاب رجل الصفيح.

كانت الشمس مختبئة خلف غيمة في الصباح التالي، لكنهم انطلقوا في رحلتهم، كأنهم يعرفون الطريق الذي يسلكون.

قالت دوروثي: «لا بد أننا سنصل إلى مكان ما إن سرنا مسافة كافية، أنا واثقة من ذلك».

لكن النهار انقضى وما زالوا لم يروا شيئًا أمامهم سوى الحقول الصفراء. أخذ الفزاعة يتذمر قليلًا:

«لا بد أننا ضللنا الطريق، ولن أحصل أبدًا على عقل ما لم نعثر على الطريق في الوقت المناسب لنصل مدينة الزمرد».

«ولن أحصل أنا على قلب»، قال الحطاب رجل الصفيح، «يبدو لي أنني لا أطيق الصبر حتى أصل إلى أوز. ولا بد أن تقروا أن الرحلة طويلة».

قال الأسد متنهدًا: «ليس لدي الشجاعة لأظل أجوب الآفاق إلى الأبد كما ترون، دون أن نصل إلى مكان».

ثم فقدت دوروثي حماسها. فجلست على العشب ونظرت إلى أصحابها، فجلسوا ونظروا إليها ورأى توتو أنه في المرة الأولى في حياته تعب من ملاحقة فراشة طارت فوق رأسه، فأخرج لسانه ولهث ونظر إلى دوروثي كأنما يسأل ماذا سيفعلون تاليًا.

«لنفترض أننا استدعينا فئران الحقل»، أشارت، «لا بد أن بوسعها إرشادنا إلى طريق مدينة الزمرد».

«إنها قادرة بلا شك»، قال الفزاعة، «لمَ لم نفكر بهذا من قبل؟».

نفخت دوروثي في الصفارة التي حملتها حول عنقها دومًا منذ أن أعطتها لها الملكة. وفي غضون دقائق قليلة سمعوا وقع أقدام صغيرة،

وجاء الكثير من الفئران الصغيرة الرمادية يركض إليها. وكانت بينهم الملكة نفسها التي سألت بصوتها الحاد القصير:

«ماذا أفعل لكم يا أصدقاء؟».

«لقد ضللنا طريقنا»، قالت دوروثي، «فهل بمقدورك إرشادنا إلى مدينة الزمرد؟».

«طبعًا»، أجابت الملكة، «لكنه طريق طويل، لأنكم كنتم تولونها ظهوركم كل هذا الوقت». ثم رأت قبعة دوروثي الذهبية وقالت «لم لا تستخدمين تعويذة القبعة، وتستدعين القردة المجنحة؟ ستحملكم إلى مدينة أوز في أقل من ساعة».

«لم أكن أعلم أن لها تعويذة»، أجابت دوروثي دهشة، «فما هي التعويذة؟».

«إنها مكتوبة داخل القبعة الذهبية»، أجابت ملكة الفئران، «ولكن إن كنت ستستدعين القردة المجنحة فلا بد أن نهرب، لأنها خبيثة جدًا وترى في اجتياحنا متعة عظيمة».

«ألن يصيبوني بأذى؟»، سألت الفتاة قلقة.

«أوه، كلا. يتعين عليهم طاعة مالك القبعة. إلى اللقاء!»، ثم أدبرت مختفية عن الأنظار، وقد لحقت بها كل الفئران مسرعة.

نظرت دوروثي إلى داخل القبعة الذهبية ورأت بعض الكلمات المكتوبة على البطانة. وظنت أن هذه هي التعويذة، فقرأت التعليمات بحذر ووضعت القبعة على رأسها.

«إپ - پي، پيپ- پي، كاك- كي!»، قالت وهي تقف على قدمها اليسرى.

«ماذا قلت؟»، سأل الفزاعة الذي لم يفهم ما تفعله.

«هِيل-لو، هُل-لو، هِل-لو!»، واصلت دوروثي وهي تقف هذه المرة على قدمها اليمنى.

«مرحبًا!»[1]، أجاب الحطاب رجل الصفيح بهدوء.

«زِز-زي، زُز- زي، زِك!»، قالت دوروثي التي وقفت على كلتا قدميها. كانت هذه نهاية التعويذة فسمعوا لغوًا وصفق أجنحة عظيمين، حين طارت إليهم القردة المجنحة. انحنى الملك لدوروثي وسأل:

«ماذا تأمرين؟».

«نود الذهاب إلى مدينة الزمرد»، قالت الطفلة، «وقد ضللنا طريقنا».

«سنحملكم»، قال الملك، وما إن فرغ من كلامه حتى أمسك اثنان من القردة بدوروثي وطارا بها بعيدًا، وحمل الآخرون الفزاعة والحطاب رجل الصفيح والأسد، وحمل قرد صغير توتو وطار خلفهم، رغم أن الكلب حاول عضه.

شعر الفزاعة والحطاب رجل الصفيح بشيء من الخوف بادئ الأمر، لأنهما تذكرا كيف عاملتهما القردة معاملة سيئة قبلًا، لكنهما

(١) الكلمة التي نطقتها دوروثي hello، فظنها الحطاب تحيه.

وجدا أنها لا تنوي إيذاءهما فطارا في الهواء مبتهجين، وقضيا وقتًا ممتعًا في النظر إلى البساتين والغابات الجميلة تحتهما.

وجدت دوروثي نفسها تطير بارتياح بين أيدي اثنين من أكبر القردة، كان أحدهما الملك نفسه، وقد صنعا من أيديهما كرسيًا وحرصا على ألا يصيبها مكروه.

«لماذا يتعين عليكم أن تطيعوا تعويذة القبعة الذهبية؟»، سألت.

«هذه قصة طويلة»، أجاب الملك ضاحكًا، «ولكن ما دام أمامنا رحلة طويلة فسأشغل الوقت في حكايتها لك إن رغبت».

«يسرني سماعها»، أجابت.

بدأ الزعيم قائلًا: «كنا شعبًا حرًا ذات يوم، نعيش بسعادة في الغابة الكبيرة ونطير من شجرة إلى أخرى نأكل الثمار وحبات الجوز، ونفعل ما نشتهي دون أن نسمي أحدًا سيدًا. ربما كان بيننا من هو لئيم أحيانًا، فينزل ليجر أذناب الحيوانات التي لا أجنحة لها، ويطارد الطيور ويلقي حبات الجوز على الناس الذي يسيرون في الغابة. لكننا كنا خليي البال وسعداء ومرحين، واستمتعنا بكل لحظة من النهار. كان هذا قبل سنوات عديدة، قبل أن يأتي أوز من الغيوم ليحكم هذه البلاد بوقت طويل.

عاشت في الشمال البعيد حينئذ أميرة جميلة كانت أيضًا ساحرة قوية. وكان كل سحرها مسخرًا لخدمة الناس، ولم يسمع أبدًا أنها آذت أحدًا طيبًا. كان اسمها غِيَلِت، وعاشت في قصير جميل بني من حجر كبير من الياقوت. أحبها الجميع، لكنها كانت تشعر بأسى

عظيم لأنها لم تعثر على أحد تحبه بدورها، فقد كان كل الرجال شديدي الغباء والدمامة ليتزوجوا بامرأة فائقة الحسن والذكاء. لكنها في النهاية عثرت على ولد وسيم وقوي وذكي ذكاءً يفوق عمره. فعقدت غِيَلِت العزم على الزواج به حين يصبح رجلًا، فأخذته إلى قصرها الياقوتي واستخدمت كل سحرها لجعله قويًا وطيبًا وجميلًا بقدر ما تتمناه كل امرأة. وحين بلغ الرجولة، قيل إن كويلالا -وهذا اسمه- قد صار أفضل الرجال وأكثرهم حكمة في كل البلاد، وقد كان جماله الرجولي فائقًا حتى إن غِيَلِت أحبته حبًا جمًا، وبادرت لإعداد كل شيء من أجل الزفاف.

كان جدي في ذلك الوقت ملك القردة المجنحة التي سكنت الغابة قرب قصر غِيَلِت، وقد أحب القرد المسن الدعابة أكثر من حبه للطعام الشهي. في أحد الأيام، قبل الزفاف، كان جدي يطير مع جماعته فرأى كويلالا يسير قرب النهر. وكان يرتدي ثيابًا فاخرة من الحرير الوردي والقطيفة الأرجوانية، وظن جدي أن بوسعه فعل ما يشاء. نزلت جماعة القردة بأمر منه وأمسكت بكويلالا، وحملته حتى صارت فوق وسط النهر ثم ألقته في الماء».

«اسبح يا صديقي العزيز»، هتف جدي، «وانظر إن كان الماء قد بقع ثيابك». كان كويلالا شديد الذكاء فسبح، ولم تفسده كل الثروة الكبيرة. وضحك حين برز على سطح الماء وسبح نحو الشاطئ. لكن غِيَلِت جاءت تركض فوجدت أن ثيابه الحريرية والقطيفية قد أفسدها الماء. استشاطت الأميرة غضبًا، وعرفت طبعًا من فعل ذلك. فأحضرت أمامها كل القردة المجنحة، وقالت «إنه يجب ربط

أجنحتها أولًا وأن تعامل كما عومل كويلالا، فتُلقى في النهر. لكن جدي توسل إليها بحرارة، لأنه عرف أن القردة ستغرق في النهر إن رُبطت أجنحتها. وقال كويلالا شيئًا في صالحها، فأبقت عليها غِيَلِت بشرط أن تلبي أوامر صاحب القبعة الذهبية ثلاث مرات. كانت القبعة قد صنعت هدية زفاف لكويلالا، وقيل إنها كلفت الأميرة نصف مملكتها. وافق جدي وكل القردة الآخرين على الفور طبعًا، وهكذا حدث أننا نكون عبيدًا لمالك القبعة ثلاث مرات، أيًا يكن».

«وما الذي حدث لهما؟»، سألت دوروثي التي كانت مهتمة للغاية بالقصة.

«كان كويلالا أول مالك للقبعة الذهبية»، أجاب القرد، «فكان أول من أمرنا. ولأن عروسه لا تطيق النظر إلينا، فقد دعانا جميعًا إلى الغابة بعد أن تزوجها وأمرنا أن نبقى بعيدين فلا تقع عيناها أبدًا على القردة المجنحة، وهذا ما كنا سعداء بفعله، لأننا كنا نخشاها جميعًا.

كان هذا كل ما تعين فعله حتى وقعت القبعة السحرية في يد ساحرة الغرب الشريرة، التي جعلتنا نستعبد الونكي، ونطرد أوز نفسه بعد ذلك من بلاد الغرب. وها قد صارت القبعة الذهبية ملكك، ولك الحق في أن تأمرينا ثلاث مرات».

حين فرغ ملك القردة من قصته نظرت دوروثي إلى الأسفل ورأت الأسوار الخضراء البراقة لمدينة الزمرد أمامهم. فتعجبت من

سرعة طيران القردة، لكنها سرت لنهاية الرحلة. أنزلت المخلوقات الغريبة المسافرين بحذر أمام بوابة المدينة، وانحنى الملك لدوروثي ثم طار بسرعة، تتبعه جماعته.

«كانت هذه رحلة جيدة»، قالت الفتاة الصغيرة.

«أجل، وطريق سريع بعيدًا عن المتاعب»، أجاب الأسد، «من حسن حظنا أنك جلبت هذه القبعة العجيبة!».

الفصل الخامس عشر
افتضاح أمر أوز الرهيب

سار المسافرون الأربعة نحو البوابة الكبيرة لمدينة الزمرد ورنوا الجرس. ثم بعد أن رن بضع مرات فتح حارس البوابة نفسه الذي التقوه قبلا.

«هل عدتم؟»، سأل مندهشًا.

«ألا ترانا؟»، سأل الفزاعة.

«لكنني ظننتكم ذهبتم لزيارة ساحرة الغرب الشريرة».

«لقد زرناها»، قال الفزاعة.

«وتركتكم تعودون ثانية؟»، سأل الرجل في عجب.

«لم تكن تستطيع منع ذلك، لأنها ذابت»، شرح له الفزاعة.

«ذابت! حسن، هذه أخبار طيبة حقًا»، قال الرجل، «ومن ذوّبها؟».

«إنها دوروثي»، قال الأسد بوقار.

«يا إلهنا الرحيم!»، قال الرجل وانحنى خفيضًا أمامها.

ثم أخذهم إلى غرفته الصغيرة وأخرج النظارات من الصندوق الكبير وأقفلها حول أعينهم، كما فعل من قبل. ثم دخلوا البوابة إلى مدينة الزمرد، وحين سمع الناس من حارس البوابة أنهم ذوّبوا ساحرة الغرب الشريرة، اجتمعوا كلهم حول المسافرين وتبعوهم في حشد عظيم إلى قصر أوز.

كان الجندي ذو السبلتين الخضراوين لم يزل يحرس الباب، لكنه أدخلهم على الفور والتقوا الفتاة الخضراء الجميلة ثانية، التي أخذتهم إلى غرفهم القديمة حالًا، فينالون قسطًا من الراحة حتى يكون أوز العظيم جاهزًا لاستقبالهم.

نقل الجندي من فوره الأخبار إلى أوز بأن دوروثي والمسافرين الآخرين قد عادوا بعد القضاء على الساحرة الشريرة، لكن أوز لم يحر جوابًا. ظنوا أن الساحر العظيم سيرسل في طلبهم على الفور، لكنه لم يفعل. ولم يتلقوا منه كلمة في اليوم التالي، ولا الذي تلاه، ولا الذي تلاه. وكان الانتظار مضجرًا ومتعبًا، واغتاظوا في نهاية الأمر لأن أوز عاملهم معاملة سيئة، بعد أن أرسلهم لمكابدة المصاعب والعبودية. فطلب الفزاعة في النهاية من الفتاة الخضراء أن تنقل رسالة أخرى إلى أوز تقول إنهم سيستدعون القردة المجنحة لمساعدتهم، ما لم يلتقهم أوز حالًا، وسيرون إن كان يحفظ وعده أم لا. أصيب الساحر بالذعر حين نقلت إليه الرسالة فأرسل إليهم أن يحضروا إلى غرفة العرش في الساعة التاسعة وأربع دقائق من صباح

الغد. فقد التقى القردة المجنحة مرة واحدة في بلاد الغرب، ولا يرغب برؤيتها ثانية.

قضى المسافرون الأربعة ليلة أرِقة، وكل منهم يفكر في المنحة التي وعد أوز أن يهبها له. غطت دوروثي في النوم، وحلمت أنها كانت في كنساس، حيث كانت الخالة إم تبدي سرورًا عظيمًا بعودة الفتاة الصغيرة إلى البيت.

جاء الجندي ذو السبلتين الخضراوين مسرعًا في التاسعة من صباح اليوم التالي، وبعد أربع دقائق ذهبوا كلهم إلى غرفة عرش أوز العظيم.

توقع كل منهم طبعًا أن يرى الساحر بالشكل الذي اتخذه قبلًا، وانتابتهم الدهشة كلهم حين قلبوا نظرهم في أرجاء الغرفة وما رأوا أحدًا. فظلوا قريبين من الباب وقريبين من بعضهم بعضًا، لأن هدوء الغرفة الخالية كان مخيفًا أكثر من أي شكل اتخذه أوز قبلًا.

ثم سمعوا صوتًا آتيًا من مكان ما قريب من أعلى القبة الكبيرة، وقال بوقار:

«أنا أوز، العظيم والرهيب. لمَ أتيتم لرؤيتي؟».

نظروا ثانية في كل أرجاء الغرفة، وسألت دوروثي حين لم يروا أحدًا:

«أين أنت؟».

«أنا في كل مكان»، أجاب الصوت، «لكني خفي عن أعين البشر

العاديين. سأجلس نفسي على العرش الآن، فتستطيعون الحديث إلي». ثم بدا أن الصوت صار يأتي من العرش نفسه حقًا، فساروا نحوه ووقفوا في صف حين قالت دوروثي:

«لقد جئنا نطلب منك تنفيذ وعدك، يا أوز».

«أي وعد؟»، سأل أوز.

«لقد وعدت بإعادتي إلى كنساس إن قُضي على الساحرة الشريرة»، قالت الفتاة.

«ووعدت بمنحي عقلًا»، قال الفزاعة.

«ووعدت بمنحي قلبًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«ووعدت بمنحي الشجاعة»، قال الأسد الجبان.

«هل قضي على الساحرة الشريرة حقًا؟»، سأل الصوت، وظنت دوروثي أنه تهدّج قليلًا.

«أجل. لقد ذوّبتها بنفسي بدلو ماء»، قالت.

«يا إلهي!»، قال الصوت، «يا لها من مفاجأة! تعالوا إلي غدًا، لأنني أحتاج بعض الوقت للتفكير بالأمر».

«لقد كان لديك متسع من الوقت مسبقًا»، قال الحطاب رجل الصفيح غاضبًا.

«لن ننتظر يومًا آخر»، قال الفزاعة.

«عليك أن تفي بوعدك لنا!»، قالت دوروثي.

ظن الأسد أن من الأفضل إخافة الساحر، فزأر زأرة كبيرة عالية، كانت قوية ومخيفة جدًا جعلت توتو يقفز مبتعدًا عنه بذعر، وداس على الساتر المنصوب في الزاوية. فوجهوا أنظارهم نحوه حين وقع محدثًا ارتطامًا، وملأهم العجب حينئذ. لأنهم رأوا رجلًا قصيرًا مسنًا، رأسه أصلع ووجهه مجعد، واقفًا في البقعة التي يخفيها الساتر، وبدا أنه مندهش بقدرهم. اندفع الحطاب رجل الصفيح رافعًا فأسه نحو الرجل القصير وهتف: «من أنت؟».

«أنا أوز، العظيم والرهيب»، قال الرجل القصير بصوت مختلج، «لكن لا تضربني -لا تفعل أرجوك- وسأفعل كل ما تريده مني».

نظر إليه أصدقاؤنا بعجب وحيرة.

«ظننت أوز رأسًا كبيرًا»، قالت دوروثي.

«وأنا ظننت أوز سيدة جميلة»، قال الفزاعة.

«وأنا ظننت أوز سبعًا مخيفًا»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«وأنا ظننت أوز كرة لهب»، قال الأسد.

«كلا، إنكم مخطئون جميعًا»، قال الرجل القصير بخنوع، «لقد كنت أتظاهر».

«تتظاهر!»، صاحت دوروثي، «ألست الساحر العظيم؟».

فقال: «صه يا عزيزتي. لا تتحدثي بصوتٍ عالٍ وإلا سيسمعونك ويقضى علي. فهم يظنون أنني الساحر العظيم».

«ألست كذلك؟»، سألت.

«لست كذلك البتة. أنا لست إلا رجلًا عاديًا».

«إنك أكثر من هذا»، قال الفزاعة بنبرة حزينة، «إنك محتال».

«بالضبط!»، أقر الرجل القصير فاركًا يديه معًا كأن ذلك أسعده، «أنا محتال».

«لكن هذا مريع، كيف سأحصل على قلبي إذًا؟»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«أو شجاعتي؟»، قال الأسد.

«أو عقلي؟»، بكى الفزاعة وهو يجفف دموعه بكمّ معطفه.

«أتوسل إليكم يا أصدقائي الأعزاء ألا تتحدثوا عن صغائر الأمور. فكروا بي وبالمأزق الفظيع الذي سأكون فيه إن افتضح أمري»، قال أوز.

«ألا يعرف أحد آخر أنك محتال؟»، قالت دوروثي.

«لا أحد يعلم ذلك سواكم أنتم الأربعة، وأنا»، أجاب أوز. «لقد خدعت الجميع لوقت طويل حتى ظننت أنني لن يفتضح أمري. لقد كان سماحي لكم بدخول غرفة العرش خطأ كبيرًا، فأنا لا أرى عادة حتى أتباعي، فيظنون أنني شيء رهيب».

«لكني لا أفهم»، قالت دوروثي في حيرة، «كيف ظهرت لي على أنك رأس كبير؟».

«كانت هذه إحدى خدعي»، أجاب أوز، «تعالوا من هنا وسأخبركم بالأمر كله».

ثم تقدمهم إلى غرفة صغيرة خلف غرفة العرش، وتبعه الجميع. فأشار إلى زاوية وضع فيها الرأس الكبير وقد صنع من عدة طبقات من الورق، ووجه مرسوم بعناية.

«علقت هذا بالسقف بخيط»، قال أوز، «وكنت أقف خلف الساتر وأجذب الخيط لأحرك العينين وأفتح الفم».

«ولكن ماذا بشأن الصوت؟»، سألت.

«أوه، يمكنني الكلام من بطني»، قال الرجل القصير، «ويمكنني أن أغير صوتي كلما أردت، فظننتِه آتيًا من الرأس. هذه هي الأشياء الأخرى التي استخدمتها في خداعكم». وعرض على الفزاعة الثوب والقناع اللذين ارتداهما حين تظاهر بأنه سيدة جميلة، ورأى الحطاب رجل الصفيح أن السبع المخيف لم يكن إلا الكثير من الجلود خيطت معًا بأضلاع تقيم جانبيها. أما كرة اللهب، فقد علقها الساحر المزيف من السقف أيضًا. كانت كرة من القطن، ولكن حين صب عليها الوقود اشتعلت الكرة بقوة.

قال الفزاعة: «عليك حقًا أن تشعر بالخجل من نفسك لأنك محتال».

«أنا كذلك، أنا كذلك حتمًا»، قال الرجل القصير بأسى، «لكنه كان الأمر الوحيد الذي بوسعي فعله. اجلسوا من فضلكم، فلدينا الكثير من الكراسي، وسأروي لكم قصتي».

فجلسوا واستمعوا إليه وهو يحكي الحكاية الآتية:

«ولدت في أوماها...».

«عجبًا، إنها لا تبعد عن كنساس كثيرًا!»، هتفت دوروثي. «كلا، لكنها تبعد كثيرًا عن هذا المكان»، قال وهو يهز رأسه حزينًا، «صرت أتكلم من بطني حين كبرت، وقد دربني على فعل ذلك معلم ماهر. بوسعي أن أقلد أي نوع من الطيور أو السباع». فماء عندها مثل هرة وأصخى توتو سمعه وبحث في كل مكان ليرى مكانها. ثم واصل أوز حديثه «ثم أصابني الضجر من هذا بعد وقت، فصرت قائد منطاد». «وما ذاك؟»، سألت دوروثي.

«رجل يطير في منطاد في يوم السيرك، فيحشد الناس معًا ويجعلهم يدفعون لمشاهدة السيرك»، شرح لها.

فقالت: «أوه، لقد فهمت».

«حسن، طرت في المنطاد يومًا والتفت الحبال فلم أستطع النزول ثانية. فطار المنطاد عاليًا بين الغيوم، حتى ضربه تيار هوائي وحمله بعيدًا، أميالًا بعيدة. سافرت ليلًا ونهارًا في الجو، وفي صباح اليوم الثاني استيقظت ورأيت أن المنطاد يحلق فوق بلاد غريبة وجميلة.

فهبط شيئًا فشيئًا، ولم أصب بأذى البتة. غير أني وجدت نفسي وسط أناس غرباء، ظنوني ساحرًا عظيمًا بعد أن رأوني آتيًا من بين الغيوم. لقد جعلتهم يفكرون على هذا النحو طبعًا، لأنهم كانوا خائفين مني، ووعدوا بفعل كل ما آمرهم.

فأمرتهم ببناء هذه المدينة وقصري، إمتاعًا لنفسي وإشغالًا للناس الطيبين، وقد فعلوا طائعين ومذعنين. ثم ظننت أن بوسعي تسمية المدينة مدينة الزمرد، لأنها كانت شديدة الخضرة والجمال، ولأجعل الاسم ملائمًا أكثر ألبست الناس نظارات خضرًا، فيكون كل ما يرونه أخضر».

«ولكن أليس كل شيء أخضر اللون هنا؟»، سألته دوروثي.

«ليس أكثر مما في أي مدينة أخرى»، قال أوز، «ما دمت تضعين نظارات خضراء فسيكون كل ما ترينه في المدينة أخضر بطبيعة الحال. بنيت مدينة الزمرد قبل سنوات كثيرة، لأنني كنت شابًا حين هبط المنطاد هنا، وقد صرت هرمًا جدًا الآن. لكن أبناء شعبي يضعون النظارات الخضر على أعينهم منذ زمن بعيد حتى ليظن معظمهم أنها مدينة زمردية حقًا، وأنها مكان جميل، مطعم بالجواهر والمعادن النفيسة، وكل ما يحتاجه المرء ليكون سعيدًا. لقد كنت طيبًا مع الناس فأحبوني، ولكن منذ بناء هذا القصر حبست نفسي ولم أر أيًا منهم.

كانت الساحرات أحد أكبر مخاوفي، فقد عرفت سريعًا، لكوني بلا قوى سحرية، أن الساحرات قادرات حقًا على فعل أمور عجيبة. وكانت في هذه البلاد أربع منهن، وقد حكمن الناس الذين يعيشون شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا. كانت ساحرتا الشمال والجنوب طيبتين لحسن الحظ، وعرفت أنهما لن تؤذياني، لكن ساحرتي الشرق والغرب شريرتان للغاية، ولولا أنهما ظنتا أنني أفوقهما قوة لقضتا علي حتمًا.

ولما كانت هذه هي الحال، عشت في خوف قاتل منهما لسنوات طويلة، فبوسعكم أن تتخيلوا كم كنت سعيدًا حين سمعت أن بيتك قد سقط على ساحرة الشرق الشريرة. وكنت مستعدًا أن أعدكم بأي شيء حين جئتم إلي، إن استطعتم التخلص من الساحرة الأخرى فحسب. ولكن الآن وقد ذوبتموها، فإنني أشعر بالخجل لقول إنني لا أستطيع الوفاء بوعودي».

«أظنك رجلًا سيئًا جدًا»، قالت دوروثي.

«أوه، كلا يا عزيزتي، إنني رجل طيب جدًا، لكنني ساحر سيء للغاية، علي الاعتراف بذلك».

«ألا يمكنك أن تعطيني عقلًا؟»، قال الفزاعة.

«لست بحاجته. فأنت تتعلم كل يوم شيئًا جديدًا. فللطفل عقل لكنه لا يعرف الكثير. إن التجربة هي الأمر الوحيد الذي يمنحك المعرفة، وكلما طال بقاؤك على الأرض، فستمر بتجارب أكثر حتمًا».

«ربما كان هذا صحيحًا»، قال الفزاعة، «لكني سأكون تعسًا للغاية ما لم تمنحني عقلًا».

نظر الساحر المزيف إليه باهتمام.

«حسن»، قال متنهدًا، «أنا لست ساحرًا كما قلت، لكن إن أتيت إلي غدًا صباحًا، فسأحشو رأسك بالعقل. ليس بوسعي تعليمك كيف تستخدمه، بل عليك أن تكتشف ذلك بنفسك».

«أوه، شكرًا لك! شكرًا لك!»، صاح الفزاعة، «سأجد طريقة لاستخدامه فلا تخش ذلك!».

«ولكن ماذا عن شجاعتي؟»، سأل الأسد قلقًا.

«أنا واثق أن لديك الكثير من الشجاعة»، أجاب أوز، «كل ما تحتاجه أن تثق بنفسك. ليس من كائن حي لا يشعر بالخوف حين يواجه الخطر. والشجاعة الحقيقية تكمن في مواجهة الخطر وأثناء شعورك بالخوف، وأنت لديك الكثير من هذه الشجاعة».

«ربما كنت محقًا، لكني خائف حقًا»، أجاب الأسد، «سأكون تعسًا للغاية حقًا ما لم تمنحني الشجاعة التي تجعل المرء ينسى خوفه».

«حسن جدًا، سامنحك هذه الشجاعة غدًا»، أجاب أوز.

«وماذا عني؟»، سأل الحطاب رجل الصفيح.

«حسن، بالنسبة إلى ذلك»، أجاب أوز، «أظنك مخطئًا لأنك ترغب بالحصول على قلب. فهو يجعل معظم الناس تعسين. إنك محظوظ لأنك لا تملك قلبًا، لو أنك تدرك ذلك فحسب».

«لا شك أن هذا مسألة رأي»، قال الحطاب رجل الصفيح، «فمن جانبي، سأحتمل كل التعاسة دون تذمر إن منحتني القلب».

«حسن جدًا»، أجاب أوز بإذعان، «تعال إلي غدًا وستحصل على قلب. لقد أديت دور الساحر لسنوات طويلة وبوسعي أن أواصل فعل ذلك لوقت أطول قليلًا!».

فقالت دوروثي: «والآن، كيف سأعود إلى كنساس؟».

«علينا أن نفكر بذلك»، أجاب الرجل القصير، «امنحيني يومين أو ثلاثة لأفكر بالأمر وسأحاول العثور على طريقة لحملك عبر الصحراء. وأثناء ذلك ستعاملين معاملة ضيوفي، وسينتظر أتباعي أن يلبوا أصغر أمنياتك أثناء إقامتك في القصر. لدي أمر واحد أطلبه منكم مقابل مساعدتكم، كما هي الحال. عليكم ألا تفشوا سري ولا تخبروا أحدًا أنني محتال».

وافقوا كلهم على ألا يقولوا شيئًا مما عرفوه، وعادوا إلى غرفهم بمعنويات عالية. حتى دوروثي كانت تأمل أن يجد ذلك «المحتال العظيم والرهيب»، كما تسميه، طريقة تعيدها إلى كنساس، وكانت مستعدة للصفح عنه إن فعل ذلك.

الفصل السادس عشر
سحر المحتال العظيم

قال الفزاعة لأصدقائه في الصباح التالي:

«باركوا لي، أنا ذاهب إلى أوز لأحصل على عقلي أخيرًا. سأكون مثل الرجال الآخرين حين أعود».

«لقد أحببتك دومًا كما أنت»، قالت دوروثي.

«إنه للطف منك أن تحبي فزاعة»، أجاب، «لكنك ستعجبين بي أكثر قطعًا حين تسمعين الأفكار البديعة التي سيخرج بها عقلي الجديد». ثم ودعهم جميعًا بصوت مبتهج وذهب إلى غرفة العرش، وقرع الباب.

«ادخل»، قال أوز.

دخل الفزاعة ووجد الرجل القصير جالسًا قرب النافذة، شارد الذهن كثيرًا.

«لقد جئت للحصول على عقلي»، قال الفزاعة في شيء من الضيق.

«أوه، أجل. اجلس على ذلك الكرسي من فضلك»، أجاب أوز، «أرجو أن تغفر لي لأنني سأقتلع رأسك، لكن ينبغي لي ذلك لأضع عقلك في مكانه المناسب».

«لا بأس»، قال الفزاعة، «يمكنك على الرحب والسعة أن تقتلع رأسي، ما دام سيغدو أفضل حين تعيده ثانية».

فخلع الساحر رأسه وأفرغه من القش. ثم دخل الغرفة الخلفية وجلب مقدارًا من النخالة التي خلطها بعدد كبر من الدبابيس والإبر. ثم بعد أن رجها كلها جيدًا، ملأ قمة رأس الفزاعة بالخليط وحشا الفراغ الباقي بالقش، وثبته في موضعه. وحين ركّب رأس الفزاعة على جسده قال له: «ستصبح رجلًا عظيمًا من الآن فصاعدًا، لأنني منحتك عقلًا من النخالة الطازجة».

شعر الفزاعة بالسعادة والفخر بتحقيق أعظم أمانيه، وعاد إلى أصدقائه بعد أن شكر أوز بحرارة.

نظرت إليه دوروثي بفضول، فقد كان رأسه متورمًا من أعلاه بفضل العقل.

«كيف تشعر؟»، سألته.

«أشعر بالحكمة حقًا»، أجاب بجدية، «سأعرف كل شيء حين أعتاد عقلي».

«لم تبرز هذه الدبابيس والإبر من رأسك؟»، سأل الحطاب رجل الصفيح.

«هذا دليل على حدة ذكائه»، قال الأسد.

«حسن، علي الذهاب إلى أوز لأنال قلبي»، قال الحطاب. فسار نحو غرفة العرش وقرع الباب.

«ادخل»، نادى أوز فدخل الحطاب وقال:

«لقد جئت للحصول على قلبي».

«حسن جدًا»، أجاب الرجل القصير، «لكن علي أن أحدث ثقبًا في صدرك، فأستطيع وضع القلب في مكانه الصحيح. أرجو ألا يؤلمك».

«أوه، كلا. لن أشعر بشيء بتاتًا».

فجلب أوز مقص الصفّاح وقص ثقبًا صغيرًا مربعًا على الجانب الأيسر من صدر الحطاب رجل الصفيح. ثم ذهب إلى خزانة أدراج وأخرج قلبًا جميلًا مصنوعًا من الحرير ومحشوًا بنشارة الخشب.

«أليس جميلًا؟»، سأله.

«بلى، حقًا»، أجاب الحطاب الذي كان مسرورًا للغاية، «لكن هل هو قلب طيب؟».

«أوه، كثيرًا!»، رد أوز. وضع القلب في صدر الحطاب ثم أعاد مربع الصفيح، ولحمه بإتقان في المكان الذي اقتطعه منه.

ثم قال: «ها أنت الآن تملك قلبًا يفخر به أي رجل. يؤسفني أن أضطر لوضع رقعة على صدرك، لكني لم أستطع منع ذلك حقًا».

«لا تقلق لأمر الرقعة»، قال الحطاب السعيد، «أنا عظيم الامتنان لك ولن أنسى معروفك يومًا».

«لا تقل هذا»، قال أوز.

ثم عاد الحطاب رجل الصفيح إلى أصدقائه، الذين تمنوا له السعادة لحظه الطيب.

توجه الأسد إلى غرفة العرش وقرع الباب.

«ادخل»، قال أوز.

«لقد أتيت للحصول على شجاعتي»، قال الأسد وهو يدخل الغرفة.

«حسن جدًا»، أجاب الرجل القصير، «سأجلبها لك».

ثم ذهب إلى خزانة ومد يده إلى رف عالٍ وأنزل منه قارورة مربعة خضراء، صب محتواها في صحن أخضر مذهب جميل النقوش. ووضع هذا أمام الأسد الذي تشممه كأنه لا يعجبه، فقال الساحر:

«اشرب».

«ما هذا؟»، سأل الأسد.

«حسن، إن صارت في جوفك فستكون الشجاعة. أنت تعرف طبعًا أن الشجاعة تكون دومًا داخل المرء، لذا لا يمكننا أن نسمي هذه شجاعة ما لم تزدردها. ولذا فإني أنصحك بشربها بأسرع ما يمكنك»، أجاب أوز.

لم يتردد الأسد أكثر، بل شرب حتى فرغ الصحن.

«بم تشعر الآن؟»، سأل أوز.

«مفعمًا بالشجاعة»، قال الأسد الذي عاد مرحًا إلى أصدقائه ليخبرهم بحظه السعيد.

ابتسم أوز، بعد أن ظل وحيدًا، وهو يفكر بنجاحه في منح الفزاعة والحطاب رجل الصفيح والأسد ما ظنوا أنهم بحاجته. وقال في نفسه «كيف يمكن ألا أغدو محتالًا وكل هؤلاء الناس يجعلوني أفعل أمورًا يعرف الجميع أنها مستحيلة؟ كان من السهل جعل الفزاعة والحطاب والأسد سعداء، لأنهم ظنوا أن بوسعي فعل أي شيء. لكن الأمر يتطلب أكثر من الخيال لإعادة دوروثي إلى كنساس، وأنا متأكد أنني لا أعرف كيف أفعل ذلك».

الفصل السابع عشر

إطلاق المنطاد

لم تسمع دوروثي نبأ من أوز لثلاثة أيام، وكانت تلك أيامًا حزينة على الفتاة الصغيرة، رغم أن كل أصدقائها كانوا سعداء وراضين كثيرًا. فقد أخبرهم الفزاعة أن في رأسه أفكارًا رائعة، لكنه لن يفصح عنها لأنه عرف أن لا أحد بوسعه فهمها سواه. كما شعر الحطاب رجل الصفيح أثناء مشيه بقلبه يجلجل في صدره، وأخبر دوروثي أنه وجده أكثر عطفًا ورهافة من ذاك الذي امتلكه حين كان مخلوقًا من لحم ودم. أما الأسد فقد قال إنه لا يخاف شيئًا على الأرض، وسيواجه بسعادة أي جيش من الرجال أو عددًا من وحوش الكاليدا الضارية.

وهكذا كان كل واحد من المجموعة الصغيرة راضيًا ما عدا دوروثي، التي تاقت أكثر من ذي قبل للعودة إلى كنساس.

أرسل أوز في طلبها في اليوم الرابع وسرت بذلك للغاية، وحين دخلت غرفة العرش قال لها مبتهجًا: «اجلسي يا عزيزتي. أظنني وجدت الطريقة لإخراجك من هذه البلاد».

«فأعود إلى كنساس؟»، سألت متلهفة.

«حسن، لست متأكدًا جدًا بشأن كنساس»، قال أوز، «لأني ليس لدي أدنى فكرة عن موقعها. ولكن أول ما يجب فعله عبور الصحراء، ومن ثم سيسهل عليك العثور على طريق العودة».

«كيف يمكنني عبور الصحراء؟»، سألت.

«لقد أتيت إلى هذه البلاد بواسطة منطاد كما تعرفين، وأنت أيضًا جئت جوًا يحملك الإعصار. لذا فأنني أرى أن الطريقة المثلى في عبور الصحراء عبورها جوًا. صحيح أن صنع إعصار يفوق قدراتي، لكنني كنت أقلب الأمر مليًا، وأظن أن بوسعي صنع منطاد».

«كيف؟»، سألت دوروثي.

«يصنع المنطاد من الحرير الذي يغطى بالغراء لحفظ الغاز داخله. ولدي الكثير من الحرير في القصر، لذا لن يكون أمامنا أي مشكلة في صنع المنطاد. غير أن هذه البلاد كلها ليس فيها غاز لملء المنطاد به وجعله يطير».

«لكنه لن يكون بذي فائدة لنا إن لم يطر»، علقت دوروثي.

«صحيح»، قال أوز، «لكن لدي وسيلة أخرى لجعله يطير، وهي أن نملأه بالهواء الساخن. ليس الهواء الساخن جيدًا بقدر الغاز، لأن المنطاد سيهبط في الصحراء إن برد الهواء، وسنضل الطريق».

«نضل؟»، قالت الفتاة دهشة، «هل أنت قادم معي؟».

«أجل طبعًا»، أجاب أوز، «لقد سئمت من كوني محتالًا. لو خرجت يومًا من هذا القصر فسيعرف شعبي أنني لست ساحرًا، فيغضبون مني لأني خدعتهم. لذلك علي البقاء حبيس هذه الغرف طوال النهار وهذا مضجر. أود كثيرًا العودة معك إلى كنساس وأن أنضم للسيرك ثانية».

«سأسعد بصحبتك»، قالت دوروثي.

«شكرًا لك»، أجاب، «والآن إن ساعدتني في خياطة الحرير، فسنبدأ بصنع منطادنا».

فأخذت دوروثي خيطًا وإبرة، وما إن قص أوز قطع الحرير بالشكل المناسب حتى خاطتها الفتاة بإتقان. كان بينها أولًا قطعة من الحرير الأخضر الفاتح، ثم الحرير الأخضر الداكن، ثم قطعة خضراء بلون الزمرد، لأن أوز تخيل صنع المنطاد من درجات مختلفة من اللون الأثير لديهم. استغرقت خياطة القطع الحريرية ثلاثة أيام، وحين فرغا صار لديهما كيس كبير من الحرير الأخضر يبلغ طوله أكثر من عشرين قدمًا.

ثم طلى أوز البطانة بطبقة من الغراء ليجعلها مانعة لتسرب الهواء، وأعلن بعدها عن جاهزية المنطاد.

«لكن لا بد لنا من سلة نركب فيها»، قال. ثم أرسل الجندي ذي السبلتين الخضراوين ليجلب سلة غسيل كبيرة ثبتها بالكثير من الحبال إلى أسفل المنطاد.

حين غدا كل شيء جاهزًا، أبلغ أوز شعبه أنه ذاهب لزيارة

أخيه الساحر العظيم الذي يعيش بين الغيوم. ذاع الخبر في المدينة سريعًا وجاء الجميع لرؤية المشهد العجيب.

أمر أوز بحمل المنطاد إلى الخارج أمام القصر، وحدق الشعب به بكثير من الفضول. قطع الحطاب رجل الصفيح كومة كبيرة من الحطب، أضرم النار بها، ورفع أوز المنطاد فوق النار لتمتلئ الحقيبة الحريرية بالهواء الساخن المنبعث من النار. انتفخ المنطاد شيئًا فشيئًا وارتفع في الهواء، حتى لم تعد السلة تمس الأرض أخيرًا.

ثم صعد أوز إلى السلة وقال لكل شعبه في صوت عالٍ:

«سأذهب الآن في زيارة، وسيحكمكم الفزاعة في غيابي. آمركم أن تطيعوه كما تطيعوني».

أخذ المنطاد يجر الحبل الذي ثبته إلى الأرض، لأن الهواء داخله كان ساخنًا وقد جعله هذا أخف وزنًا من الهواء خارجه، وصار يهتز بشدة ليرتفع بين الغيوم.

«هلمي يا دوروثي»، صاح الساحر، «أسرعي وإلا طار المنطاد».

«لا يمكنني العثور على توتو في أي مكان»، أجابت دوروثي التي لم ترغب بترك كلبها الصغير. لقد ركض توتو بين الحشد ملاحقًا هرة صغيرة، ثم وجدته دوروثي أخيرًا، فحملته وجرت نحو المنطاد.

كانت تبعد عنه بضع خطوات، وكان أوز يمد يديه ليساعدها لصعود السلة، كراك! لقد انقطع الحبل، وارتفع المنطاد في الجو دونها.

«عد أدراجك!»، صرخت، «أريد الذهاب أيضًا!».

«لا يمكنني العودة يا عزيزتي»، صاح أوز من السلة، «وداعًا!».

«وداعًا!»، هتف الجميع وقد توجهت الأنظار كلها عاليًا إلى الساحر في السلة، التي كانت تعلو اكثر فأكثر كل لحظة في السماء.

وكانت هذه آخر مرة رأى فيها أي منهم أوز الساحر العجيب، رغم أنه ربما وصل أوماها سالمًا، ويعيش فيها، على حد علمنا. لكن الشعب تذكره بحب وكانوا يقولون لبعضهم بعضًا:

«كان أوز صديقنا على الدوام. فقد بنى لنا مدينة الزمرد الجميلة هذه حين كان هنا، وحين غادر ترك لنا الفزاعة ليحكمنا».

ولكنهم رغم ذلك حزنوا وشعروا بالضيق لأيام عديدة لفقدانهم الساحر العجيب.

الفصل الثامن عشر
الرحلة نحو الجنوب

بكت دوروثي بكاء مريرًا لضياع أملها في العودة إلى كنساس، غير أنها بعد أن انتهى الأمر شعرت بالسعادة لأنها لم تركب المنطاد. كما شعرت بالأسى أيضًا على فقدان أوز، وهذا ما شعر به رفاقها أيضًا.

جاء إليها الحطاب رجل الصفيح وقال:

«لا بد أنني سأكون جاحدًا حقًا إن أخفقت في البكاء على رجل منحني قلبي الجميل. أود أن أبكي قليلًا لرحيل أوز، فهلا مسحت دموعي من فضلك لئلا أصدأ؟».

«بكل سرور»، أجابت وجلبت منشفة حالًا. ثم بكى الحطاب رجل الصفيح بضع دقائق، وراقبت الدموع بحذر وجففتها بالمنشفة. وحين فرغ شكرها بحرارة وزيّت نفسه جيدًا بعلبة الزيت المطعمة بالجواهر ليتجنب وقوع البلاء.

صار الفزاعة حاكم مدينة الزمرد، ورغم أنه لم يكن ساحرًا فإن

الشعب كان فخورًا به. إذ قالوا «ليس من مدينة أخرى في العالم يحكمها رجل محشو». وقد كانوا محقين على حد علمهم.

اجتمع المسافرون الأربعة في غرفة العرش في الصباح الذي تلا رحيل أوز بالمنطاد وتحدثوا عن بعض الأمور. جلس الفزاعة على العرش الكبير ووقف الآخرون أمامه بإجلال.

«لسنا سيئي الحظ»، قال الحاكم الجديد، «لأن هذا القصر ومدينة الزمرد لنا، وبوسعنا فعل ما نشاء. حين أتذكر أنني كنت حتى وقت قريب معلقًا على شاخص في حقل ذرة لفلاح وأنني صرت حاكمًا لهذه المدينة الجميلة، فإنني راض جدًا بقسمتي».

«أنا أيضًا»، قال الحطاب رجل الصفيح، «سعيد جدًا بقلبي الجديد، وقد كان هذا الأمر الوحيد الذي تمنيته في العالم».

«أما عني فأنا راضٍ لمعرفتي بأني شجاع بقدر أي سبع على وجه الأرض، إن لم أكن أشجع»، قال الأسد متواضعًا.

«لو أن دوروثي ترضى بالعيش في مدينة الزمرد»، واصل الفزاعة الحديث، «فسنكون كلنا سعداء معًا».

«لكنني لا أرغب بالعيش هنا»، صاحت دوروثي، «أريد العودة إلى كنساس، والعيش مع الخالة إم والخال هنري».

«حسن إذًا، ماذا بوسعنا أن نفعل؟»، سأل الحطاب.

قال الفزاعة إنه سيفكر، وقد فكر مليًا حتى أخذت الدبابيس والإبر تبرز من عقله، ثم قال أخيرًا:

«لماذا لا نستدعي القردة المجنحة، ونطلب منها أن تعبر بك الصحراء؟».

«لم أفكر بذلك أبدًا»، صاحت دوروثي سعيدة، «هذا هو الحل. سأذهب من فوري لإحضار القبعة الذهبية».

وحين أحضرتها إلى غرفة العرش رددت الكلمات السحرية فجاءت القردة المجنحة سريعًا ودخلت من نافذة مفتوحة ووقفت قربها.

«هذه المرة الثانية التي تطلبينا فيها»، قال ملك القردة وهو ينحني للفتاة الصغيرة، «ماذا تأمرين؟».

«أريدكم أن تطيروا بي إلى كنساس»، قالت دوروثي.

لكن ملك القردة هز رأسه.

«لا يمكن ذلك»، قال، «فنحن ننتمي إلى هذه البلاد وحدها، ولا يمكننا تركها. لم يسبق أن ذهبت القردة المجنحة إلى كنساس، وإخال أنه لن يحدث مطلقًا، لأنهم لا ينتمون إلى ذاك المكان. سنكون سعداء بخدمتك بأي شيء في حدود قدراتنا، لكننا لا نستطيع عبور الصحراء. إلى اللقاء».

وبسط ملك القردة جناحية بعد أن انحنى ثانية وطار بعيدًا من النافذة تتبعه جماعته.

كانت دوروثي على وشك البكاء من اليأس.

«لقد بددت تعويذة القبعة الذهبية سدى، لأن القردة المجنحة

لا تستطيع مساعدتي»، قالت.

«هذا سيء للغاية قطعًا»، قال الحطاب المرهف القلب.

أخذ الفزاعة يفكر مرة أخرى، وانتفخ رأسه كثيرًا حتى خشيت دوروثي أن ينفجر.

«دعونا نستدعي الجندي ذا السبلتين الخضراوين ونطلب مشورته»، قال.

فاستدعي الجندي ودخل غرفة العرش بخنوع، لأنه لم يسمح له بتجاوز الباب حين كان أوز على قيد الحياة[1].

قال الفزاعة للجندي: «تود هذه الفتاة الصغيرة عبور الصحراء، فكيف بوسعها فعل ذلك؟».

أجاب الجندي: «لست أدري، فلم يسبق لأحد أن عبر الصحراء ما لم يكن أوز نفسه».

«ألا يوجد أحد يساعدني؟»، سألت دوروثي بجدية.

«ربما تستطيع غلندا»، اقترح.

«ومن هي غلندا؟»، سأل الفزاعة.

«ساحرة الجنوب. إنها الأقوى بين كل الساحرات، وتحكم الكوادلنغ. كما أن قلعتها تقع على حافة الصحراء، فربما تعرف طريقة لعبورها».

(١) ربما كان بام يشير إلى أن الساحر لم ينج من رحلته بالمنطاد، لكنه يظهر ثانية حيًا ومعافًى في أحد أجزاء السلسلة التالية «دوروثي والساحر في أوز».

«غلندا ساحرة طيبة، أليست كذلك؟»، سألت الطفلة.

«يظن الكوادلنغ أنها كذلك»، قال الجندي، «وهي طيبة مع الجميع. سمعت أن غلندا امرأة جميلة تعرف كيف تحافظ على شبابها رغم السنوات الطويلة التي عاشتها».

«كيف يمكنني الوصول إلى قلعتها؟»، سألت دوروثي.

«إن الطريق مستقيم نحو الجنوب»، أجاب، «لكن يقال إنه كثير الأهوال على المسافرين، ففي الغابات حيوانات ضارية، وجنس من البشر لا يحبون أن يعبر الغرباء بلادهم. ولهذا لم يأت أحد من الكوادلنغ إلى مدينة الزمرد من قبل».

ثم تركهم الجندي وقال الفزاعة:

«يبدو، رغم الأهوال، أن أفضل ما تفعله دوروثي هو السفر إلى بلاد الجنوب وتطلب من غلندا مساعدتها. لأن دوروثي إن ظلت هنا، فلن تعود إلى كنساس أبدًا بطبيعة الحال».

«لا بد أنك كنت تفكر ثانية»، قال الحطاب رجل الصفيح.

«أجل»، قال الفزاعة.

«سأذهب مع دوروثي»، قال الأسد، «لأنني سئمت من المدينة واشتقت للغابة والريف ثانية. فأنا حيوان بري كما تعرفون. كما أن دوروثي ستحتاج أحدًا يحميها».

«هذا صحيح»، قال الحطاب، «وقد تكون فأسي نافعة لها، لذا فإنني ذاهب أيضًا إلى بلاد الجنوب».

«متى سنذهب؟»، سأل الفزاعة.

«هل أنت ذاهب معنا؟»، سألوه مذهولين.

«قطعًا. لولا دوروثي لما حصلت على عقل أبدًا. لقد أنزلتني من الشاخص في حقل الذرة وأحضرتني إلى مدينة الزمرد، وأنا مدين لها بحظي الطيب. ولن أتركها حتى تنطلق في رحلة عودتها إلى كنساس أبدًا».

«شكرًا لكم»، قالت دوروثي، «إنكم كلكم طيبون معي، لكني أود الانطلاق بأسرع ما يمكنني».

«سنذهب غدًا صباحًا»، أجاب الفزاعة، «فدعونا نستعد لأنها ستكون رحلة طويلة».

الفصل التاسع عشر
هجوم الأشجار

قبلت دوروثي الفتاة الخضراء الجميلة قبلة الوداع في الصباح التالي، وصافح الجميع الجندي ذا السبلتين الخضراوين، الذي سار معهم حتى البوابة. حين رآهم حارس البوابة ثانية تعجب من رغبتهم في مغادرة المدينة الجميلة والتورط في متاعب جديدة. لكنه فتح أقفال نظاراتهم فورًا وأعادها إلى الصندوق الكبير، وتمنى لهم الكثير من الأمنيات الطيبة.

«أنت حاكمنا الجديد الآن»، قال للفزاعة، «لذا عليك العودة إلينا بأسرع ما استطعت».

«سأفعل ذلك حتمًا إن استطعت»، أجاب الفزاعة، «لكن علي مساعدة دوروثي لتعود إلى ديارها أولًا».

قالت دوروثي وهي تودع الحارس حسن السجايا للمرة الأخيرة: «لقد عاملتموني معاملة طيبة في مدينتكم الجميلة، وكان الجميع طيبين معي. لا أستطيع التعبير عن عمق امتناني».

«لا تذكري ذلك يا عزيزتي»، أجاب، «فنحن نود إبقاءك معنا،

ولكن إن كنت ترغبين بالعودة إلى كنساس فأرجو أن تعثري على طريقة». ثم فتح بوابة السور الخارجي وتقدموا وانطلقوا في رحلتهم.

سطعت الشمس سطوعًا قويًا حين يمم أصدقاؤنا وجوههم شطر بلاد الجنوب. وكانت معنوياتهم عالية فضحكوا وتحدثوا سويًا. أفعم أمل العودة روح دوروثي مرة أخرى، وكان الفزاعة والحطاب رجل الصفيح سعيدين لمساعدتها. أما الأسد فقد استنشق الهواء النقي ببهجة وهز ذيله من جانب لآخر بفرح صافٍ لأنه عاد إلى الريف ثانية، وقد أخذ توتو يجري في الأنحاء ملاحقًا الفراشات والعثات نابحًا نباحًا مرحًا طوال الوقت.

«لا تناسبني حياة المدينة البتة»، قال الأسد وهم يمشون بنشاط. «لقد فقدت الكثير من وزني منذ أن سكنت هنا، وانا أتحين الفرصة لأظهر للسباع الأخرى حجم شجاعتي».

ثم استداروا وألقوا نظرة أخيرة على مدينة الزمرد، وكل ما تمكنوا من رؤيته عدد من الأبراج وأبراج الكنائس خلف الأسوار الخضراء، وقد علت فوق كل شيء قباب قصر أوز وأبراجه المدببة.

«لم يكن أوز ساحرًا سيئًا في النهاية»، قال الحطاب رجل الصفيح، وهو يشعر بقلبه يجلجل في جنبات صدره.

«لقد عرف كيف يمنحني عقلًا، وعقلًا جيدًا أيضًا»، قال الفزاعة.

«لو أخذ أوز جرعة من الشجاعة التي أعطاها لي»، أضاف الأسد، «لكان رجلًا شجاعًا».

لم تقل دوروثي شيئًا، فلم يفِ أوز بوعده لها، لكنه فعل ما

بوسعه ولذلك صفحت عنه. إذ كان رجلًا طيبًا كما قال، حتى وإن كان ساحرًا سيئًا.

كان يوم الرحلة الأول عبر الحقول الخضراء والزهور المشرقة الألوان التي امتدت حول مدينة الزمرد من كل جانب. وقضوا تلك الليلة على العشب، بلا شيء سوى النجوم فوقهم، وقد ناموا جيدًا فعلًا.

واصلوا سيرهم صباحًا حتى وصلوا إلى غابة كثيفة، ولم يكن ثمة وسيلة للالتفاف حولها إذ كانت ممتدة إلى اليمين واليسار على مد نظرهم. كما أنهم لم يجرؤوا على تغيير اتجاه مسيرهم خوفًا من التيه. فبحثوا عن موضع يسهل منه دخول الغابة.

عثر الفزاعة، الذي كان في المقدمة، على شجرة كبيرة ذات أغصان ممتدة يمكن للمجموعة المرور تحتها. فتقدم نحو الشجرة، ولكن ما إن مر تحت الأغصان الأولى حتى انحنت واشتبكت حوله. ثم رفعته من الأرض وألقته بسرعة بين صحبه المسافرين.

لم يصب هذا الفزاعة بأذى، لكنه فاجأه، وأخذ يشعر بشيء من الدوار حين أنهضته دوروثي.

«هذا فراغ آخر بين الأشجار»، نادى الأسد.

«دعوني أجربه أولًا»، قال الفزاعة، «لأنني لن أصاب بأذى إن ألقتني بعيدًا». فمشى نحو شجرة أخرى بعد أن أنهى حديثه، لكن أغصانها أمسكت به فورًا وألقته ثانية.

«هذا غريب. ماذا علينا أن نفعل؟»، قالت دوروثي.

«يبدو أن الأشجار عقدت العزم على محاربتنا، وإيقاف رحلتنا»، قال الأسد. «أظنني سأجرب الأمر بنفسي»، قال الحطاب. ووضع فأسه على كتفه ثم سار إلى الأشجار الأولى التي ألقت بالفزاعة بقسوة. حين انحنى غصن كبير للإمساك به، ضربه الحطاب بقوة ضربة قسمته نصفين. ثم بدأت الشجرة تهز كل أغصانها على الفور كأنها تتألم، ومر الحطاب رجل الصفيح تحتها بسلام.

«هلموا!»، صاح بالآخرين، «أسرعوا!».

ركضوا كلهم للأمام ومروا تحت الشجرة دون أذى، عدا توتو الذي أمسك به غصن صغير وهزه حتى أخذ يعوي. لكن الحطاب قطع الغصن بسرعة وأطلق سراح الكلب الصغير.

لم تفعل أشجار الغابة الأخرى شيئًا لإيقافهم، فظنوا أن بوسع الصف الأول من الأشجار فقط أن يحني أغصانه، وأن هذه على الأرجح شرطة الغابة، ومنحت هذه القوة العجيبة لإبعاد الغرباء عن الغابة.

سار المسافرون الأربعة بأمان بين الأشجار حتى بلغوا نهاية الغابة، ثم وجدوا أمامهم مندهشين سورًا عاليًا، تبين أنه من الخزف الأبيض. كان ناعمًا مثل وجه الطبق، وأعلى من رؤوسهم.

«ماذا ينبغي لنا أن نفعل الآن؟»، سألت دوروثي.

«سأصنع سلمًا»، قال الحطاب رجل الصفيح، «لأن علينا حتمًا تسلق السور».

الفصل العشرون
بلاد الخزف الجميلة

رقدت دوروثي ونامت، فقد تعبت من السير الطويل بينما كان الحطاب رجل الصفيح يصنع سلمًا من الحطب الذي وجده في الغابة. لف الأسد نفسه أيضًا لينام واستلقى توتو قربه.

راقب الفزاعة الحطاب وهو يعمل وقال له:

«لست أدري لم يقع السور هنا، ولا مما صنع».

«أرح عقلك ولا تقلق حيال السور»، أجاب الحطاب، «فسنعرف ما على الجانب الآخر ما إن نتسلقه».

صار السلم جاهزًا بعد بعض الوقت. لقد بدا واهيًا، لكن الحطاب رجل الصفيح كان متأكدًا أنه قوي وسيفي بالغرض. أيقظ الفزاعة دوروثي والأسد وتوتو وأخبرهم ان السلم جاهز. كان الفزاعة أول من تسلق السلم، لكنه كان أخرق جدًا حتى إن دوروثي تبعته وظلت خلفه لتقيه من السقوط. حين رفع رأسه فوق السور قال الفزاعة:

«أوه، يا إلهي!».

«واصل الصعود»، قالت دوروثي.

فصعد الفزاعة وجلس أعلى السور، ورفعت دوروثي رأسها وصاحت:

«أوه، يا إلهي!» كما فعل الفزاعة.

ثم صعد توتو وأخذ ينبح في الحال لكن دوروثي أسكتته.

صعد الأسد السلم تاليًا، ثم كان الحطاب رجل الصفيح الأخير، لكن كلًا منهما صاح «أوه يا إلهي!»، ما إن نظر من فوق السور. حين جلسوا جميعًا في صف أعلى السور نظروا إلى الأسفل ورأوا شيئًا غريبًا.

فقد كانت أمامهم بقعة كبيرة من الريف لها أرضية ناعمة ولامعة وبيضاء مثل قعر سكرجة. وقد تناثرت في الأرجاء بيوت مبنية من الخزف ومطلية بأكثر الألوان إشراقًا. كانت هذه البيوت صغيرة جدًا، ويصل طول أكبرها حتى خصر دوروثي. كما كان فيها حظائر جميلة يحيط بها سياج من الخزف، والكثير من الأبقار والخراف والجياد والخنازير والدجاج، وكلها من الخزف، تقف في مجموعات.

غير أن الناس الذين يقطنون هذه البلاد الغريبة كانوا أكثر غرابة. فقد كان فيها فتيات لبّانات وراعيات ماشية يرتدين صدريات ذات ألوان فاقعة وعلى ثيابهن نقط ذهبية، وأميرات

يرتدين فساتين رائعة الجمال من الذهبي والفضي والأرجواني، ورعاة أغنام يرتدون سراويل تبلغ الركبتين مقلمة بالزهري والأصفر والأزرق، وعلى أحذيتهم أبازيم ذهبية، وأمراء على رؤوسهم تيجان مرصعة بالجواهر، يرتدون معاطف من فراء القاقوم وسترات من الأطلس، ومهرجون مضحكون بثياب مزئبرة وقبعات عالية مدببة، وعلى وجناتهم دوائر حمراء. وكان الأغرب من كل ذلك أن هؤلاء كلهم من الخزف حتى ثيابهم، وكانوا قصارًا جدًا، لم يكد أطولهم يبلغ ركبة دوروثي.

لم يطل أحد النظر بالغرباء في بادئ الأمر، عدا كلب خزفي أرجواني صغير له رأس كبير الحجم، اقترب من السور ونبح عليهم بصوت قصير ثم ولى مدبرًا مرة أخرى.

«كيف سننزل؟»، سألت دوروثي.

رأوا أن السلم كان ثقيلًا جدًا فلا يستطيعون سحبه، فقفز الفزاعة من السور وقفز الآخرون عليه حتى لا تؤذي الأرض الصلبة أقدامهم. كانوا حذرين بطبيعة الحال ألا يدوسوا على رأسه لئلا تنغرز الدبابيس في أقدامهم. حين نزل الجميع بأمان أنهضوا الفزاعة الذي كان جسده قد تسطح تمامًا، فربتوا على قشه ليستعيد شكله ثانية.

«علينا عبور هذا المكان الغريب كي نصل إلى الجانب الآخر»، قالت دوروثي، «لأنه سيكون من قلة الحكمة أن نذهب إلى أي وجهة أخرى سوى الجنوب».

فأخذوا يسيرون في بلاد الناس الخزفيين، وكان أول ما صادفوه لبانة من خزف تحلب بقرة من خزف. وحين اقتربوا أخذت البقرة تركل فجأة ورفست المقعد والدلو واللبانة نفسها، وقد وقع كل شيء على الأرض الخزفية بارتطام مدوٍ.

صدمت دوروثي لرؤية البقرة وقد كسرت ساقها، وأن الدلو قد تحطم إلى قطع صغيرة، أما اللبانة المسكينة فقد شرخ مرفقها الأيسر.

«أنتم!»، صاحت اللبانة، «انظروا ماذا فعلتم! كسرت بقرتي ساقها، وعلي أخذها إلى المصلح لإلصاقها. ماذا تقصدون بقدومكم هنا وإخافة بقرتي؟».

«أنا آسفة للغاية»، أجابت دوروثي، «اغفري لنا من فضلك».

لكن اللبانة الجميلة كان حانقة جدًا فلم ترد، بل حملت الساق عابسة وقادت بقرتها، والكائنة المسكينة تعرج على ثلاث سيقان. وبعد أن تركتهم استدارت اللبانة ونظرت نظرات مؤنبة إلى الغرباء الحمقى، مبقية مرفقها المشروخ إلى جانبها.

حزنت دوروثي جدًا لهذا البلاء.

«علينا أن نكون شديدي الحذر هنا»، قال الحطاب المرهف القلب، «وإلا آذينا هؤلاء الأشخاص الصغار الجميلين فلا تقوم لهم قائمة».

التقت دوروثي بعد ذلك بوقت قصير أميرة شابة ثيابها جميلة،

توقفت قليلًا حين رأت الغرباء ثم ولت هاربة.

أرادت دوروثي أن ترى الأميرة أكثر، فجرت خلفها، لكن الفتاة الخزفية صاحت:

«لا تطارديني! لا تطارديني!».

وكان صوتها ناعمًا مذعورًا فتوقفت دوروثي وقالت:

«لِمَ لا؟».

فأجابت الأميرة وقد توقفت بعيدة بعدًا كافيًا: «لأنني ربما وقعت إن ركضت وسأكسر نفسي».

«ولكن ألا يمكن إصلاحك؟»، سألت الفتاة.

«أوه، بلى. لكن المرء لا يظل جميلًا بعد إصلاحه كما تعرفين»، أجابت الأميرة.

«أظن أنه لا يفعل»، قالت دوروثي.

«ها هو السيد جوكر أحد مهرجينا»، واصلت السيدة الخزفية حديثها، «الذي يحاول دومًا الوقوف على رأسه. لقد كسر نفسه كثيرًا فأُصلح في أماكن كثيرة، ولا يبدو حسن الطلعة البتة. ها هو آتٍ، فترين بنفسك».

في الحقيقة، جاء مهرج جذل صغير يمشي نحوهم، واستطاعت دوروثي أن ترى الصدوع تغطيه، وتظهر في كل مكان، مبينة بجلاء أنه أصلح في مواضع عدة، رغم ثيابه الجميلة الملونة بالأصفر والأحمر والأخضر.

وضع المهرج يديه في جيبيه، وبعد أن نفخ وجنتيه وأمأ برأسه لهم بوقاحة قال:

«يا سيدتي الجميلة
لماذا تحدقين
بالسيد جوكر المسكين؟
إنك جافة تمامًا
ومتكلفة كأنما
أكلت زهرة شائكة!».

«اهدأ يا سيد!»، قالت الأميرة، «ألا ترى أن هؤلاء غرباء ولا بد من معاملتهم باحترام؟».

«حسن، هذا هو الاحترام كما أظن»، قال المهرج، ووقف على رأسه من فوره.

«لا تلقي بالًا للسيد جوكر»، قالت الأميرة لدوروثي، «إن رأسه مصدّع للغاية وهذا يجعله أحمق».

«أوه، أنا لا أهتم به البتة»، قالت دوروثي، «لكنك جميلة للغاية»، وتابعت، «وإنني واثقة أنني سأحبك كثيرًا. ألن تسمحي لي بأخذك معي إلى كنساس فأضعك على رف موقد الخالة إم؟ يمكنني حملك في سلتي».

«سيجعلني هذا تعسة للغاية»، أجابت الأميرة الخزفية، « فهذه بلادنا كما ترين، ونحن نعيش بسعادة ويمكننا الكلام والتجول

كما نشاء. ولكن إن أخذ أحد منا بعيدًا تصلبت مفاصلنا في الحال، ويكون بمقدورنا الوقوف منتصبين وأن نبدو بمظهر حسن فحسب. وهذا هو كل ما يتوقع منا طبعًا حين نوضع على رفوف المواقد والخزانات وطاولات غرف الجلوس، لكن حياتنا أكثر سعادة هنا في بلادنا».

«لن أقبل أن تكوني تعسة ولو أعطيت العالم، لذا سأكتفي بقول إلى اللقاء!»، قالت دوروثي.

«إلى اللقاء»، ردت الأميرة.

ثم ساروا بحذر في بلاد الخزف، وقد ابتعدت الحيوانات الصغيرة وكل الناس عن دربهم، خوفًا من أن يحطمهم الغرباء. ووصل الغرباء بعد ساعة أو نحوها إلى الجانب الآخر من البلاد ووصلوا إلى سور خزفي آخر.

لم يكن عاليًا بقدر الأول على أية حال، وتمكنوا جميعًا بالصعود على ظهر الأسد أن يزحفوا إلى الأعلى. ثم جمع الأسد قوائمه وقفز على السور، ولكنه قلب بذيله كنيسة خزفية حين قفز وحطمها إلى كسر.

«هذا سيء جدًا»، قالت دوروثي، «لكني أرى حقًا أننا كنا محظوظين لأننا لم نؤذ هؤلاء الناس الصغار بشيء أكثر من كسر قائمة البقرة والكنيسة. إنهم شديدو الهشاشة!».

«إنهم كذلك فعلًا»، قال الفزاعة، «وأنا ممتن أنني مصنوع من

القش ولا يمكن كسري بسهولة. في العالم أمور أسوأ من أن يكون المرء فزاعة».

الفصل الحادي والعشرون

الأسد يصبح ملك السباع

وجد المسافرون أنفسهم، بعد نزولهم من السور، في أرض بغيضة، كثيرة البرك والمستنقعات وتغطيها الحشائش النتنة. كان السير صعبًا دون الوقوع في الحفر الموحلة، إذ كانت الحشائش كثيفة فأخفت الحفر عن النظر. لكنهم مشوا بسلام، وهم يشقون دربهم حذرين، حتى وصلوا أرضًا صلبة. لكن البلاد هنا بدت أكثر وحشة من ذي قبل، وبعد سير مضنٍ وطويل بين الأدغال دخلوا غابة أخرى، كانت فيها الأشجار أكبر وأقدم مما سبق لهم أن رأوه.

«هذه الغابة بهيجة للغاية»، قال الأسد مجيلًا النظر فيما حوله بجذل، «لم أر قبلًا مكانًا أكثر جمالًا».

«تبدو موحشة»، قال الفزاعة.

«كلا، مطلقًا»، أجاب الأسد، «أود العيش هنا طوال حياتي. انظر إلى نعومة الأوراق الجافة تحت قدميك ووفرة الطحالب وخضرتها التي تتشبث بهذه الأشجار الهرمة. لن يتمنى سبع ضارٍ مكانًا أجمل بلا شك».

«ربما كان في الغابة الآن حيوانات ضارية»، قالت دوروثي.

«أظن ذلك، لكني لا أرى أيًا منها»، أجاب الأسد.

وساروا عبر الغابة حتى صار الظلام دامسًا ولم يعد بوسعهم التقدم. استلقت دوروثي وتوتو والأسد ليناموا، بينما وقف الفزاعة والحطاب لحراستهم كالمعتاد.

وانطلقوا ثانية مع طلوع الصباح. ثم سمعوا دمدمة خفيضة قبل أن يبتعدوا أكثر، مثل هدير الكثير من الحيوانات الضارية. تأوه توتو بعض الشيء لكن لم يصب أي من الاخرين بالذعر وظلوا يمشون على درب وطئه كل خف وحافر، حتى وصلوا براحًا في الغابة، تجمعت فيه مئات الحيوانات من كل نوع. فقد كان بينها نمور وفيلة ودببة وذئاب وثعالب وكل الأنواع الأخرى من التاريخ الطبيعي، وشعرت دوروثي بالخوف للحظة. لكن الأسد بيّن أن الحيوانات كانت تعقد اجتماعًا وقد تبين من هديرها وزمجرتها أنها في مأزق عظيم.

رآه عدد من السباع حين تحدث، ثم انفض الجمع الكبير في لحظة مثل السحر. ثم تقدم أكبر النمور وانحنى للأسد قائلًا:

«مرحبًا بك يا ملك السباع! لقد جئت في الوقت المناسب لقتال عدونا وإعادة السلام بين كل الحيوانات في الغابة ثانية».

«ما خطبكم؟»، سأل الأسد بهدوء.

«يهددنا عدو قوي جاء إلى هذه الغابة مؤخرًا. إنه وحش هائل

للغاية، مثل عنكبوت كبير له جسد بحجم الفيل وأرجل طويلة مثل جذع الشجرة. له ثمانية من هذه الأرجل الطويلة، وكلما زحف الوحش في الغابة أمسك حيوانًا برجل وسحبه إلى فمه، فيأكله كما يأكل العنكبوت الذبابة. لا أحد منا بمأمن ما دام هذا المخلوق المفترس على قيد الحياة، وقد عقدنا اجتماعًا لنقرر كيف نعتني بأنفسنا حين جئت إلينا»، أجاب النمر.

فكر الأسد للحظة.

«هل في الغابة أسد آخر؟»، سأل.

«كلا، كان فيها بعض الأسود غير أن الوحش أكلها كلها. كما أنه لم يكن بينها من هو ضخم وشجاع بقدرك».

«إن قضيت على عدوكم، فهل تنحنون لي وتطيعوني بوصفي ملك الغابة؟» سأل الأسد.

«سنفعل ذلك بكل سرور»، أجاب النمر وزمجرت كل السباع الأخرى زمجرة قوية: «سنفعل!».

«وأين عنكبوتكم الكبير هذا؟»، سأل الأسد.

«إنه هناك، بين أشجار البلوط»، قال النمر مشيرًا بقدمه الأمامية.

«اعتن جيدًا بأصدقائي هؤلاء، وسأذهب حالًا لقتال الوحش»، قال الأسد.

فودع رفاقه وتقدم مزهوًا للعراك مع العدو.

كان العنكبوت الكبير نائمًا حين وجده الأسد، وبدا شديد القبح

حتى إن خصمه رفع أنفه تقززًا. كانت أرجله طويلة جدًا كما قال النمر، وشعره مغطى بشعر أسود خشن، وله فم كبير فيه صف من الأسنان الحادة يبلغ طول كل منها قدمًا، لكن رأسه كان متصلًا بالجسد البدين بعنق أهيف مثل خصر الدبور. ومنح هذا الأسد لمحة عن الطريق المثلى لمهاجمة هذا المخلوق، وعرف أن الهجوم عليه نائمًا أسهل من مهاجمته مستيقظًا، فوثب وثبة كبيرة وهبط على ظهر الوحش مباشرة. ثم، وبضربة واحدة من كفه الثقيلة، المدججة بالمخالب الحادة، فصل رأس العنكبوت عن جسده. وبعد أن قفز نازلًا، وقف يراقبه حتى كفت كل الأرجل عن الاهتزاز فعرف عندها أنه مات.

عاد الأسد إلى البراح حيث كانت تنتظره سباع الغابة وقال بفخر: «لا داعي للخوف من عدوكم بعد اليوم».

فانحنت السباع للأسد ونصبته ملكًا لها، ووعدها بالعودة وحكمها ما إن تمضي دوروثي في طريقها إلى كنساس بأمان.

الفصل الثاني والعشرون

بلاد الكوادلنغ[1]

عبر المسافرون الأربعة ما تبقى من الغابة سالمين، وحين خرجوا من عتمتها رأوا أمامهم تلّا شديد الانحدار، تغطيه قطع كبيرة من الصخور من قمته حتى سفحه.

«سيصعب علينا تسلق هذا، غير أن علينا صعوده رغم ذلك»، قال الفزاعة.

فتقدمهم وتبعه الآخرون، وكانوا قد أوشكوا على بلوغ الصخرة الأولى حين سمعوا صوتًا أجش:

«تراجعوا!»

«من أنت؟»، سأل الفزاعة. ثم ظهر رأس من فوق الصخرة وقال الصوت نفسه: «هذه الأرض لنا، ونحن لا نسمح لأحد بعبورها».

---

(١) تنتهي كل أسماء شعوب سكان أوز بصيغة تصغير، ولو قسمت الكلمة إلى قسمين فإن كلمة quad تعني أربعة، وربما أمكن تفسيرها بأنهم سكان البلاد الرابعة قصار القامة، كما شرحها هيرن.

«لكن ينبغي علينا عبورها»، قال الفزاعة، «إننا ذاهبون إلى بلاد الكوادلنغ».

«لكنكم لن تفعلوا!»، أجاب الصوت، وخرج من خلف الصخرة أغرب رجل رآه المسافرون يومًا.

كان قصيرًا وبدينًا جدًا وله رأس كبير، مسطح أعلاه، يحمله عنق ثخين تملؤه التجاعيد. غير أنه ليس له ذراعان، وحين رأى الفزاعة هذا لم يخش أن يمنعه مخلوق عاجز كهذا من تسلق التل، فقال: «آسف لأني لن أفعل ما تقول، لكن علينا عبور تلك سواء أأعجبك ذلك أم لا»، وتقدم إلى الأمام بجرأة.

سريعًا مثل البرق انطلق رأس الرجل إلى الأمام واستطال عنقه حتى ضربت قمة رأسه، التي كانت مسطحة، الفزاعة في وسطه وأبعدته وهو يتدحرج من فوق التل. وعاد الرأس إلى الجسد بالسرعة نفسها التي انطلق بها، وضحك الرجل بفظاظة وهو يقول: «ليس الأمر سهلًا كما تظن!».

انطلقت جوقة من الضحكات الصاخبة من الصخور الأخرى، ورأت دوروثي مئات من رؤوس المطرقة الذين لا أيدي لهم على التل، واحدًا خلف كل صخرة.

استشاط الأسد غضبًا على الضحك الذي ثار لكرب الفزاعة، وزأر زأرة عالية تردد صداها مثل الرعد واندفع صاعدًا التل.

انطلق رأس بسرعة مرة أخرى، وأخذ الأسد الكبير يتدحرج أسفل التل كأنما أصابته قذيفة مدفع.

جرت دوروثي وأنهضت الفزاعة، واقترب منها الأسد متألمًا ومجروحًا وقال:

«من العبث قتال أناس لهم رؤوس متحركة، لا يمكن لأحد هزيمتهم».

«فماذا نفعل إذًا؟»، سألته.

«نادي القردة المجنحة»، اقترح عليها الحطاب رجل الصفيح، «ما زلت تملكين الحق في استدعائهم مرة أخرى».

«حسن جدًا»، أجابت. ثم ارتدت القبعة الذهبية وتلت الكلمات السحرية. وجاءت القردة بسرعة كالمعتاد، ووقفت الجماعة كلها أمامها في غضون دقائق قليلة.

«بم تأمرين؟»، سأل ملك القردة وهو ينحني لها.

«احملونا فوق هذا التل إلى بلاد الكوادلنغ»، أجابت الفتاة.

«سمعًا وطاعة»، قال الملك وحملت القردة المجنحة في الحال المسافرين الأربعة وتوتو بين أذرعها وطارت بهم. وحين طارت بهم فوق التل صاحت رؤوس المطرقة غضبًا وقذفت رؤوسها عاليًا في الهواء، لكنه لم تبلغ القردة المجنحة، التي حملت دوروثي ورفاقها بأمان فوق التل وأنزلتهم في بلاد الكوادلنغ الجميلة.

«هذه آخر مرة يكون بمقدورك استدعاؤنا»، قال القائد لدوروثي، «فالوداع وحظًا طيبًا».

«الوداع، وشكرًا جزيلًا لك»، أجابت الفتاة وعلت القردة في

الهواء واختفت عن الأنظار في طرفة عين.

بدت بلاد الكوادلنغ خصبة وسعيدة، إذ كان فيها الحقل تلو الحقل من الحبوب الناضجة، تتخللها طرق مرصوفة جيدًا وغدران رقراقة جميلة وجسور قوية لعبورها. وقد طليت الأسوار والبيوت والجسور كلها بالأحمر الفاقع، مثلما كانت مطلية بالأصفر في بلاد الونكي وبالأزرق في بلاد المنشكن. كان الكوادلنغ أنفسهم، الذين كانوا قصيري القامة وسمينين ولحيمين وطيبي القلوب، يرتدون ثيابًا حمرًا بدت فاقعة مقابل العشب الأخضر والحبوب الصفراء.

أنزلتهم القردة قرب منزل مزرعة، ومشى المسافرون الأربعة نحوه وقرعوا بابه. ففتحته زوجة المزارع وحين طلبت منها دوروثي طعامًا، قدمت لهم المرأة عشاء لذيذًا إلى جانب ثلاثة أصناف من الكعك وأربعة أصناف من البسكويت، وطبقًا من الحليب لتوتو.

«كم تبعد قلعة غلندا؟»، سألت الطفلة.

«إنها ليست ببعيدة»، أجابت زوجة المزارع، «سيروا في الطريق نحو الجنوب وستصلونها سريعًا».

فواصلوا رحلتهم منتعشين، بعد أن شكروا المرأة الطيبة، وساروا بين الحقول وعبروا الجسور الجميلة حتى رأوا أمامهم قلعة جميلة. كانت تقف أمام البوابات ثلاث فتيات جميلات يرتدين زيًا موحدًا جميلًا على حوافه زخرفة ذهبية، وقالت واحدة منهن وهي ترى دوروثي تقترب:

«ما الذي جاء بكم إلى بلاد الجنوب؟».

«لنرى الساحرة الطيبة التي تحكم هذه البلاد»، أجابت، «هلا أخذتنا إليها؟».

«أعطوني أسماءكم وسأسأل غلندا إن كانت ستراكم». فأخبروها من كانوا، وذهبت الفتاة الحارسة إلى القلعة. ثم عادت بعد لحظات وقالت إنه يسمح بدخول دوروثي والآخرين في الحال.

الفصل الثالث والعشرون

الساحرة الطيبة تحقق أمنية دوروثي

قبل أن يذهبوا للقاء غلندا، أُخذوا إلى غرفة في القلعة، حيث غسلت دوروثي وجهها وسرحت شعرها، ونفض الأسد الغبار عن لبدته، وربّت الفزاعة نفسه ليكون في أفضل هيئة، ولمّع الحطاب صفيحه وزيّت مفاصله.

وحين كان الجميع بهيئة حسنة، تبعوا الفتاة الحارسة إلى غرفة كبيرة جلست فيها الساحرة غلندا على عرش من الياقوت.

كانت في نظرهم جميلة وشابة، ولها شعر أحمر قانٍ يسترسل في عقص منسابة على كتفيها. وكان ثوبها أبيض ناصع، لكن عينيها زرقاوان، نظرتا بعطف إلى الفتاة الصغيرة.

«ما الذي أستطيع فعله لك يا صغيرتي؟»، سألت.

أخبرت دوروثي الساحرة بقصتها، وكيف جلبها الإعصار إلى بلاد أوز، وكيف التقت رفاقها، والمغامرات العجيبة التي خاضوها سويًا.

«أما أكبر أمنياتي الآن»، أضافت، «فهي العودة إلى كنساس، لأن الخالة إم تظن قطعًا أن مكروهًا أصابني، وسيحزنها هذا كثيرًا، وما لم يكن المحصول أفضل هذا العام مما كان عليه آخر فلن يحتمل الخال هنري ذلك حتمًا».

مالت غلندا نحو الأمام وقبلت وجه الفتاة المحبة الصغيرة المرفوع إليها.

«مبارك قلبك الحنون»، قالت، «أنا واثقة أن بوسعي إرشادك إلى طريقة تعيدك إلى كنساس». ثم أضافت:

«ولكن عليك إعطائي القبعة الذهبية إن أنا فعلت ذلك».

«على الرحب والسعة!»، قالت دوروثي، «إنها في الحقيقة لم تعد بذات نفع لي، وحين تحصلين عليها يمكنك استدعاء القردة المجنحة ثلاث مرات».

«وأظنني سأكون بحاجة إلى خدماتهم ثلاث مرات فحسب»، أجابت غلندا باسمة.

ثم أعطتها دوروثي قبعتها الذهبية، وقالت الساحرة للفزاعة:

«ما الذي ستفعله حين تغادرنا دوروثي؟».

«سأعود إلى مدينة الزمرد»، أجابها، «لأن أوز جعلني حاكمًا لها والشعب يحبني. الأمر الوحيد الذي يشغلني كيف أعبر تل رؤوس المطرقة؟».

«بقوة القبعة الذهبية سآمر القردة المجنحة أن تأخذك إلى بوابات

مدينة الزمرد»، قالت غلندا، «لأنه سيكون من المخجل حرمان الشعب من حاكم رائع مثلك».

«هل أنا رائع حقًا؟»، سأل الفزاعة.

«إنك خارق»، ردت غلندا.

ثم سألت وهي تلتفت نحو الحطاب رجل الصفيح:

«وماذا سيحدث لك إن غادرت دوروثي هذه البلاد؟».

فاتكأ على فأسه وفكر للحظة، ثم قال:

«كان الونكي طيبون جدًا معي، وأردوا مني أن أحكمهم بعد موت الساحرة الشريرة. وأنا أحب الونكي، وإن تمكنت من العودة إلى بلاد الشرق، فلن أتمنى شيئًا أكثر من أن أحكمهم للأبد».

«سيكون أمري الثاني للقردة المجنحة أن تحملك بأمان إلى بلاد الونكي. ربما لست تتمتع بعقل كبير مثل عقل الفزاعة، لكنك أكثر لمعانًا منه –حين تلمع جيدًا– وكلي ثقة أنك ستكون حاكمًا حصيفًا وطيبًا للونكي».

ثم نظرت الساحرة إلى الأسد الكبير المشعث وسألت:

«ماذا سيحدث لك إن عادت دوروثي إلى وطنها؟».

فأجاب: «خلف تل رؤوس المطرقة تقع غابة كبيرة قديمة، وقد جعلت مني كل السباع التي تسكنها ملكًا عليها. إن استطعت العودة إلى تلك الغابة فسأمضي حياتي سعيدًا هناك».

فقالت غلندا: «سيكون أمري الثالث للقردة المجنحة أن تحملك إلى الغابة. وبعد أن أستخدم قوى القبعة الذهبية كلها سأعطيها لملك القردة المجنحة، فيصبح هو وجماعته بعدئذ أحرارًا للأبد».

شكر الفزاعة والحطاب رجل الصفيح والأسد الساحرة الطيبة كثيرًا لعطفها، وقالت دوروثي:

«إنك طيبة بقدر جمالك. لكنك لم تخبريني بعد كيف أعود إلى كنساس».

«سيحملك حذاؤك الفضي ويعبر بك الصحراء»، أجابت غلندا، «لو كنت تعرفين قواه لعدت إلى خالتك إم منذ اليوم الأول الذي جئت فيه إلى هذه البلاد».

«ولكني لم أكن عندها لأحصل على عقلي الرائع»، صاح الفزاعة، «ولربما أمضيت حياتي كلها في حقل ذرة المزارع».

«ولم أكن لأحصل على قلبي الجميل»، قال الحطاب رجل الصفيح، «ولظللت واقفًا صدئًا في الغابة حتى نهاية العالم».

«ولعشت جبانًا للأبد»، قال الأسد، «ولن يكون لدى أي من السباع في الغابة كلمة طيبة يقولها لي».

«هذا كله صحيح»، قالت دوروثي، «أنا سعيدة أنني كنت ذات نفع لهؤلاء الأصدقاء الطيبين. ولكن الآن وقد حصل كل واحد منهم على ما تمناه، وكل واحد منهم سعيد بحصوله على مملكة يحكمها، فإنني أود العودة إلى كنساس».

قالت الساحرة الطيبة: «للحذاء الفضي قوى عجيبة. وأحد أغرب الأمور فيه قدرته على حملك إلى أي مكان في العالم في ثلاث خطوات، وكل خطوة تحدث في طرفة عين. كل ما عليك فعله أن تقرعي كعبيّ الحذاء معًا ثلاث مرات وتأمري الحذاء أن يحملك إلى المكان الذي ترغبين به».

«إن كان الأمر كذلك، فسأطلب منه إعادتي إلى كنساس حالًا»، قالت الطفلة جذلة.

ثم لفت ذراعيها حول عنق الأسد وقبلته، وربتت على رأسه الكبير بحنان. وقبلت الحطاب رجل الصفيح الذي كان يبكي بكاء يوحي بالخطر على مفاصله. لكنها عانقت جسد الفزاعة الطري المحشو بين ذراعيها بدلًا من تقبيل وجهه المرسوم، ووجدت أنها كانت تبكي لهذا الفراق الأليم عن رفاقها المحبين.

نزلت غلندا الساحرة الطيبة من عرشها الياقوتي لتقبل الفتاة الصغيرة قبلة الوداع، وشكرتها دوروثي على ما أبدته من لطف نحوها ونحو أصدقائها.

أمسكت دوروثي بتوتو بين ذراعيها بقوة، وبعد أن قالت الوداع للمرة الأخيرة ضربت كعبي حذائها معًا ثلاث مرات قائلة: «أعدني إلى الديار إلى الخالة إم».

* * * * *

وسرعان ما أخذت تدور في الهواء، دورانًا سريعًا حتى إنها لم تر الريح تصفر خلف أذنيها أو تشعر بها.

لم يستغرق الحذاء الفضي سوى خطوات ثلاث، ثم توقفت فجأة وتدحرجت على العشب بضع مرات قبل أن تدرك مكانها.

لكنها اعتدلت في النهاية ونظرت حولها.

«يا إلهي الرحيم!»، صاحت.

لأنها كانت تجلس في سهوب كنساس الواسعة، وأمامها كان بيت المزرعة الجديد الذي بناه الخال هنري بعد أن حمل الإعصار البيت القديم. كان الخال هنري يحلب الأبقار في الحظيرة، فقفز توتو من ذراعيها وأخذ يجري نحو الحظيرة نابحًا بجذل.

وقفت دوروثي ورأت أنها لا ترتدي في قدميها سوى جوربين، فقد وقع الحذاء الفضي أثناء طيرانها في الجو، وضاع في الصحراء إلى الأبد.

الفصل الرابع والعشرون

العودة إلى البيت مرة أخرى

خرجت الخالة إم من البيت لتسقي الملفوف حين رفعت نظرها ورأت دوروثي تجري نحوها. فصاحت «صغيرتي الحبيبة»، وهي تضم الفتاة الصغيرة بين ذراعيها وتغمر وجهها بالقبلات، «من أين جئت بحق السماء؟».

«من بلاد أوز»، قالت دوروثي بوقار، «وهذا توتو أيضًا. أوه يا خالتي إم، إنني مسرورة للغاية أن أعود إلى البيت ثانية».

* * * *

النهاية

"سأطلب القلب، لأن العقل لا يجعل المرء سعيدًا"

يقال إن في الأدب الأمريكي ثلاثة أعمال كلاسيكية عظيمة هي موبي ديك لهرمان ملـڤِل، ومغامرات هكلبري فن لمارك توين، وساحر أوز العجيب لليمان فرانك بام.

نُشر "ساحر أوز العجيب" أول مرة عام ١٩٠٠، ثم تلتها سلسلة من أربعة عشر جزءًا على مدى عشرين عامًا، وبيعت منه خمسة ملايين نسخة بحلول عام ١٩٥٦، في الذكرى المئوية لكاتبه. وقد حاول بام في هذه السلسلة تأسيس أسلوب جديد للحكايا الخرافية، يختلف عما عرف في تاريخ الأدب.

تخوض دوروثي بشجاعة عددًا من المغامرات كي تتمكن من العودة إلى ديارها ثانية، وفي أثناء ذلك تلتقي الفزاعة والحطاب والأسد الجبان، ويصبح هؤلاء أصدقاء مخلصين لدوروثي التي كانت سببًا في تحقق أمنياتهم.

لم تكن الرحلة بكل مصاعبها، ولا الطريق بكل وعورته هما المهمان، إنما كانت الرفقة والخبرة التي حصل عليهما المسافرون الأربعة، والثمرة التي جناها كل منهم بعد رحلته الشاقة.

يحتاج العالم اليوم، وإلى الأبد، إلى القلب كي يتخفف من الألم الذي أثقله طويلًا. هذا القلب الذي سيحدث ثقبًا في عالم الصفيح، فينساب منه النور معلنًا بزوغ "عالم جديد شجاع".

المترجمة









www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com